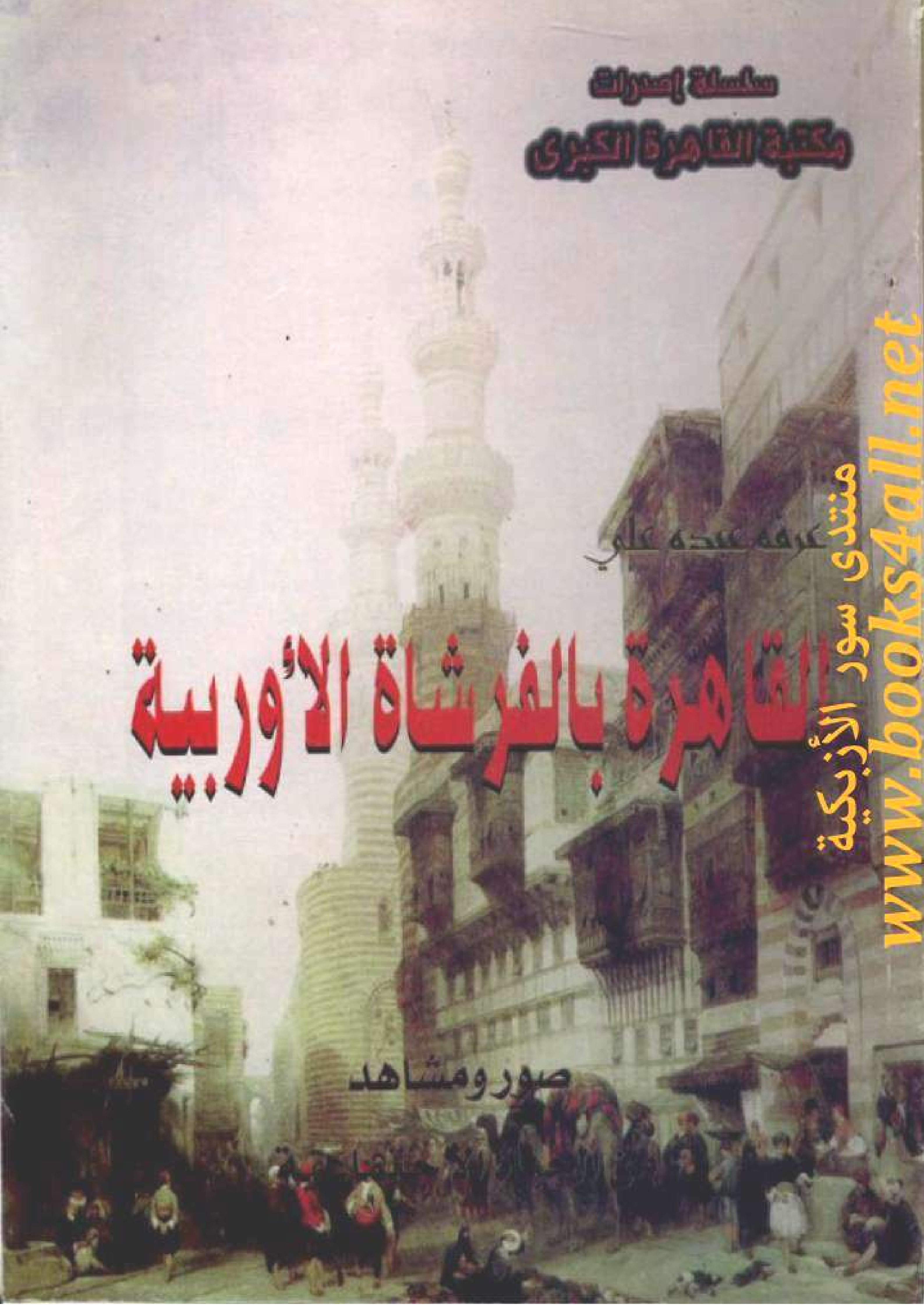
سلسلة إصدارات

مكتبة القاهرة الكبرى

عرفه عبده علي

القاهرة بالفرشاة الأوربية

صور ومشاهد



عرفه عبده على

«القاهرة بالفرشاة الأوروبية»

صور ومشاهد
من الحياة الاجتماعية

«كم شيدنا منذ صبانا مـدنا من تصميم خيالنا، كنا نتـمنى لو شـاهدناها فى الواقع، غـيـر أن حظنا لم يمنحنا أن نسـكنهـا إلا فى أحـلامنا٠٠ وكـانت لنا قاهرتنـا التى نسجناها من عناصـر ألف ليلة وليلة، المتناثرة حـول مـيـدان الأزبـكيـة الذى صـوره لنا ماريلا٠٠ أننى مدين له برؤياى عن الشرق٠٠٠»

« تيوفيل جوتيي»

«... ن الشرق يبدأ من القاهرة»·· هذه الكلمة الشهيرة التى قالها الأديب الرحالة الفرنسى«جوستاف فلوبير»·· يوم كان للقاهرة غموض السحر الذى اجتذب الرحالة والأدباء والفنانين الأوروبيين، فى رحيلهم اليومى المغامر، فحركت فى نفوسهم الحنين المضطرم إلى عبق الصحارى وصخب الزحام وواجهات الحوانيت ودفء الحياة وروائح التوابل والثياب المزركشة وآثار الماضى العريق وأساطير ألف ليلة وليلة، ليرسموا لنا مشاهد تنبض بالحياة، متباينة الألوان والظلال لمجتمع القاهرة فى زمانها الجميل··

وكانت جولانى بين كتب الرحالة وإبداعات الفنانين الأوروبيين – فى مكتبات المعاهد الأجنبية ومكتبة القاهرة الكبرى – قد أوحت لى بفكرة هذا الكتاب، الذى يتضمن روائع مدارس مختلفة من الفن الإستشراقى الأوروبى، والتى لم يسبق نشرها فى المكتبة العربية، وإنطباعات هؤلاء الفنانين عن«قاهرة الشرق»·· وصور ثبتت لحظات زمنية من تاريخ القاهرة وتراثها، شوارع وأسواق وبيوت ومقاهى وحريم، وقباب ومآذن تشهد بروعة فنون العمارة الإسلامية، ومشاهد من الحياة اليومية أذهلت هؤلاء الفنانين بتنوع وثراء موضوعاتها·· باقة يتضوع شذاها بعطر الماضى الجميل·· أضعها بين يدى محبى الفن وهواة التاريخ وعشاق القاهرة !

عرفه عبده على

تقديم :

استبقت المعرفه الشرقية – صورة الواقع الشرقي – فى أذهان الرحالة والفنانين الإوروبيين، فكان نزوعهم نحو الشرق– ملتقى الحضارات القديمة – هو نزوع معرفى مرادف للإبداع والإلهام، بحثا عن«النموذج» الذى ارتسم فى مخيلتهم وادراكهم وعن:«الرائع» و«الجميل»٠٠و«الرومانسى»٠٠٠٠وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت قد تشكلت منظومة فكرية – فنية متكاملة من روائع الأدب وفن التصوير، أسهمت فى اكتشاف عالم الشرق ومميزاته الجمالية٠

ـ كان الشرق هو عالم« الأحلام»٠٠٠ الذى يتوافق أو يندمج فى عالم الواقع، فسعى هؤلاء الرحاله والفنانين – عن طريق التجاوب فى المشاعر– إلى التوغل فى جوهر الحضارة الشرقية٠*

ومما لاشك فيه أن ابداعات الرحاله ومشاهدات الحجيج وتقارير الباحثين والارساليات والقناصل والخبراء وضغوط المصالح السياسية – خاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر – قد أسهمت فى إزدياد كثافة الوعى العام بالشرق٠٠٠

ـ ومنذ سنوات بعيدة، والغرب يتطلع إلى اكتشاف:«الآخر»٠٠ والوقوف على أسرار الحضارات «الأجنبية» الغامضة٠٠ تطور إلى رغبة فى إتصال مباشر وفيزيقى مع: الغريب والعجيب والمثير جدا٠

وقد فتح«هيرودوت»الطريق، عندما لفت أنظار اليونان إلى عالم غير يونانى عالم جسد له فكرة «الاغتراب» ومثل له أيضا: مدرسة للحكمة٠

وسجل علماء وفنانو حملة نابوليون كل مشاهداتهم فى مصر، فى الموسوعة الخالدة«وصف مصر» موثقة بلوحات الفنانين المبدعين، فى حصاد رائع للحملة الفرنسية، فى جانبها الحضارى الإنسانى

---

* د٠ زينات البيطار: الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢٠ص ٢٢٩٠

فى عـام ١٨٤٢، تحـدث «ادجار كـينيـه» - « Edgar Quinet» عن «نهـضة شرقـية» حـامله لـــ «إنسانيــةجديدة»٠٠ جديرة بأن تثرى الميـراث اليونانى - الرومانى٠٠٠٠ تطلب الأمـر-إذن- إعادة النظر فى«المعرفة الغربية للشرق»٠

فالانجـذاب إلى الشرق تعدى مرحلة الـدهشة والإنبهار بالأشـياء الغريبـة، والحلم الرومانسى الذى أسهم فى تدعيم أسطورة - الشرق الأبدى - واختلاط الماضي بالحاضر فى خيالات القراء والرحاله الأوروبيين، تبـدل إلى محـاولة اكتشـاف جديد للـشرق القديم: أصـل التاريخ والإنسـانية، ومــهبط الديانات، ومحــتوى أسرارالحضــارات القديمة، وانطلقت الرغبـة فى معرفـة أدق عن الآخرين، ترقب وترصد- التقـاليد والعقائد الإسـلامية التى شكلت الشـرق الحديث - ومع التوسع فى الاكتـشافات الأثرية وفك طلاسم الكتابات القديمة وقراءة نصوصـهـا إزداد الأمل فى اكتشاف فلسفى جديد٠٠ قد يسهم فى إعادة صـياغة الحياة وأشكالها المادية فـالشرق يمثل دائما- فكرة الاستقـرار- أمام العالم الأوروبى المتغير٠٠!

خلال القرن التاسع عـشر، أصبح الشرق: أعظم ملهم للفنانين، بما يعرضه من مـوضوعات جذابة٠٠ وتفسير خاص لظاهرة الضوء، ولذلك كـان«تيوفيل جوتييه» «TH. Gauthier» يحث الفنـانين على الرحـيل إلى الشرق ، الذى أصـبح«ضروريا مـثل الحج إلى إيطاليـا» لمشاهدة الشـمس٠٠ والحيـاة الفطرية٠٠ والمشاهد العجيبه٠٠ والألوان الحيه٠٠ والمفارقات المدهشة٠

فى عام ١٨٥٨، كتب الفنان الألمانى الشهيـر«كارل هاج» إلى أصدقائه من الفنانين والرحاله والأدباء الأوروبيين« إن هؤلاء الذين يبحثون عن مادة مثيرة يستلهمونها فى ابداعاتهم عليهم أن يتوجهوا إلى القاهرة - هى قاهرة واحدة فى العالم كله - تتـألق فى وقار وجلال على ضفاف النيل العظيم، وبين روابيهـا الخضراء وتلالهـا الذهبيـة وآثار الفراعنة، وتراثها الإسـلامى العريق، مـازال ماثلا فى كل مظاهر الحيـاة فيهـا، وتتجلى عـبقرية المكان والزمـان والالهامات المبـدعة، ولا شك أن خـيال الفنان سيصيغ من هذا الواقع روائع شرقية خالدة»٠*

وتبدلت الرؤيـة الاستشـراقية - خـاصة مـابعد عام ١٨٦٠- بينـما فقـد الحلم الرومانسى سـحره وجاذبيـته،ومع تطور الأبحـاث الخاصة بـالضوء وإختـرع آلة التصـوير، تنامى التيـار الواقعى فى

---

*Gerald M. Ackermam : les orientalis de L'ecole Britanniaque, Paris,1990 P139.

النصف الثانى من القرن التاسع عشر، مما أدى إلى التجديد فى الرؤية والتعبير عن الشرق بالرسم والتصوير الفوتوغرافى، ووضحت الرغبة فى فهم وتحديد- مشهد ما - على حقيقته، دون تجميل أو تزييف٠٠ وإهتم الفنانون بتقديم مشاهد حقيقية بتفصيلات وتركيبات محددة، أمينة وصادقة ' ولم تستمر الصورة المبهرة للشرق، إلا لتغذية مشاهد أدبية خصبة، تركت آثارها فى كتابات «بييرلوتى-Pierre Loti» وفى الوقت ذاته، كان بعض الفنانين يحاول أن يبتكر مشاهد جمالية، تحفظ للشرق سحره وفتنته، ولو بإستخدام ديكورات عجيبة !

ومع بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر، تغلب التيار الواقعى للتصوير الاستشراقى، وتبدلت المفاهيم والمعانى، فكان للتيار الرومانسى سمة بارزة تتلخص فى معنى محدد:

«كل الخيال - Toute d'imagination» فأعقبه عصر:

«كل الملاحظة Toute d'observation» أو الرصد، ومالبث التصوير الاستشراقى أن تحول إلى «تحقيق عن الشرق- Enquete sur l' orient٠*

انتشار الفن الاستشراقى:

منذعام ١٨٧٠، لم يعد الفن الاستشراقى قاصرا على الفرنسيين والبريطانيين فحسب، فعقب الحرب ضد بروسيا، استقبلت باريس عددا كبيرا من الفنانين الأوربيين والأمريكان٠٠ والبعض منهم كان قد حقق شيئا من الشهرة فى بلاده٠

وأكثر هؤلاء قد سجلوا أنفسهم فى «مدرسة الفنون الجميلة بباريس-L'Ecole des beaux arts» لدى الرحاله والفنان العظيم:« جان ليون جيروم-Jean Leon Gerome»

لقد اجتدبتهم باريس ، أكثر من مدرسة الأكاديمية الملكية بلندن، التى كانت تفتقد مراسم يديرها أستاذ ذائع الصيت، كما هو الحال فى فرنسا، أضف إلى ذلك ، عدم وجود نظام للمكافآت وضعف إحتمالات الإنطلاق إلى آفاق الشهرة، خاصة للطلبه الموهوبين٠ وفى واقع الأمر، لم تكن شهرة الفنانين البريطانيين، تتجاوز الأوساط الفنية الأوربية،بالرغم من مشاركتهم فى معارض عالمية

* د٠ ادوارد سعيد : الاستشراق ، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت، ١٩٨٠،ص٧١

فى باريس، فى السنوات: ١٨٥٥، ١٨٦٧، ١٨٨٩، ١٩٠٠ وربما يرد ذلك إلى إحساس مفرط بالإقليمية أو لأنهم وجدوا أن الأستاذية الفرنسية جديرة بالتقدير·· لكن تنقصها الحرارة··! *

ولم يكن كل المستشرقين قد تأسسوا فى باريس أو لندن، فالنمساوى:«ليوبولد كارل مولر- L. carl muller والأسبانى:ماريانو فورتونى مارسال-Mariano F. Marsal» كان الداعى الأول فى إيطاليا، للأهمية المتجددة للشرق·

وفنانون من سويسرا وألمانيا وبلجيكا والدول الاسكندنافية، توجهوا إلى الشرق- مصر خاصة - وكانوا يعرضون أعمالهم فى بلادهم·

والخلفية التوراتية وصلتها العميقة بالشرق، كانت واضحة فى أعمال الفنانين الفيكتوريين، أمثال: «دافيد ويلكى-David Wilkie» و«هولمان هنت - H. Hunt» و«فردريك جودول- F, Goodall » كما تجلت أيضا فى أعمال الفرنسيين:«جيمس تيسو- J. Tissot» و« هوراس فيرنيه- H.Vernet»·

فكانوا يرتحلون بحثا عن« الديكورا ت الحقيقية» للموضوعات الدينية خاصة، مع قناعة تامة بأن تصوير تلك المواقف والمشاهد، هى بمثابة بعث للأزمنة الغابرة·

وتجددت النوازع الروحية فى - إنجلترا الفيكتورية - بتأثير نجاح المناظر التوراتية، التى أبدعت فى ديكورات فرعونية··

وكانت الموضوعات التاريخية فى أعمال:ادوارد بوينتر- Ed. Poynter» و« سيرلورانس الما- تيدما-Sir L. Alma - Tadema» و «ادوين لونج-Edwin Long» تكاد تشبه الانجازت الأولى لهوليوود···!

وعندما أصبح الفن الاستشراقى«موضة العصر»·· حظى أيضا بإهتمام فنانين لم يذهبوا إطلاقا إلى الشرق وكان أشهرهم الكلاسيكى: جان أوجست دومينيك انجر- J, A. Dominique Ingres» فى عام ١٨١٤ كان قد أبدع لوحته «المحظيه»- (Musee du louvre, Paris) وفى عام ١٨٣٩، أنجز لوحته الشهيرة:«الجارية والعبد»(Fogg museum of Art, Cambridge» ثم فى عام ١٨٦٢، أبدع لوحته الأشهر« الحمام التركى»··(Musee du Louvre, Paris)·

---

*Hautecoeur L: La Litterature et Peintres en France de xvii au xix Siecle ,Paris, 1963, P86.

وقد أدت حرب القرم ١٨٥٤-١٨٥٥، وإفتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ إلى وضع منطقة الشرق الأوسط - من جديد على رأس الأحداث، فقد أرسل عدد من الفنانين لتسجيل تلك الأحداث، وكثير من بينهم، أهتموا بتسجيل مشاهد من الحياة اليومية فى الشرق٠ *

وبينما تزايدت الأفواج السياحية، بإشراف شركة «توماس كوك»٠٠ مزودين بآلات التصوير الفوتوغرافى، نجد أن أساليب الحياة والأزياء الأوربية،قد تسللت إلى الأوساط الحكومية فى القاهرة وتركيا، وسيدات المجتمع قد هجرن ملابسهن التقليدية، ليرتدين« الكرينول- Crinoline» من بيت أزياء «وورث» والفنانون أنفسهم يحاولون الإبتعاد عن كل المظاهر الأوروبية !

وقد اشتملت روائع الفنانين الأوربيين فى أكثرها على« المآذن الباسقة البيضاء، التى تسبغ الأتزان على التكوين الفنى، خاصة فى أعمال: كرابلية، ووالتر تيندال، باسكال كوست، روبرتس، ماريلا، توماس ألوم، ادوارد لير، وسجل جان ليون جيروم مشهدا للمؤذن ينادى للصلاة بينما تتراءى مآذن القاهرة المملوكية، تمتد رشيقة فى أفق تغشاه حمرة الغسق، وتتجلى براعة المصورين البريطانيين: دافيد روبرتس وجون فردريك لويس- بوجه خاص- فى تصوير روائع العمارة الإسلامية فى إطار من مسحة رومانسية٠ !٠٠

أما رائد التصوير البريطانى« وليام بارتليت» الذى قام بخمس رحلات إلى الشرق، فقد كانت فلسطين - الأرض المقدسة- محور إهتمامه لشغفه بالشخصيات والمواقع التى وردت فى الكتاب المقدس٠

كما إتجه معظمهم إلى تسجيل المشاهد الأكثر حيوية وتألقا: حرس نوبى بهيئته المهيبة، الصيد بالصقور، الجياد الكريمة والصحراء، نساء يرتدين أفخم الثياب، يستلقين فى استرخاء فى معاقلهن، وأسواق صاخبة زاخرة بالناس٠٠ وانطباعات سحرية لاتنسى عن الحياة الشرقية!٠

---

*Carre J.M: voyageurs et ecrivains en Egypte, IFAO, le caire.1932,vol: 1,P26

الفن هنا.. يهيم فى الشوارع

أوجست ديلاكرو

لقد شكلت «القـاهرة»زاوية الدفء والحلم الجميل فى ذاكرة الكثـيرين، فكانت رحلة واحدة - كـافية للبعض منهم- ليختزن تصورات ثرية عن «قاهرة الشـرق» ·· عن الطبيعة السـاحرة وفنون العمارة المبتكرة وصخب الحـياة وتنوع الألوان، وكنوز الماضـى التى شكلت طوقا بديعـا من الحضارات التى تألقت على صدر التاريخ·

كانت القـاهرة فى القرن التـاسع عشـر، فردوسـا لفنانى أوربا، الذين خلفوا لنا ثروة من إبـداعاتهم الفنية الخالدة، تبعث قاهرة الشرق حية فى خـيالنا، بالرغم من موجة التحديث التى نالت من طابعها المميز فى ذلك العـصر، إلا أنها ظلت قادرة - بسحرها الخـاص- على أن تخلب ألباب هؤلاء الفنانين، فتباروا في تسـجيل مشاهداتهم لواقع القاهرة، آثارها، أسواقهـا، شوارعها، صخب الحياة الشـعبية، بعيدا عن تداعيات العالم السحرى الغامض لقصص ألف ليلة وليلة !

ويذكر بالفضل·· أسرة محمد على باشا- مـؤسس مصر الحديثة- الذى أراد أن«يترجم» الحضـارة الأوربية، فاستـقدم وخلفاؤه أشـهر الفنانين الأوروبيين لتزيين سراياتهم الملكيـة، فشكل هؤلاء حركة فنية أوروبية مستحدثة يميزها طابع رومانسى يستلهم ابداعاته من تفاصيل حياتنا اليومية·

فى القاهرة، عاش هؤلاء الرحاله والفنانون، حاضر مصر وماضيها القريب، قبل أن يوغلوا فى أعماق تاريخهـا القديم، فـسجلت أقلامـهم انطباعاتـهم فى حس مرهف ····· وعانقت فـرشاتهم مـعالم القاهرة وحاورت تفاصيل حياة المصريين المعاصرين، فى بهجة تجذب القلوب وتأسر الألباب·

وكـثـير مـن الأدباء والفنانين الذين رحلوا إلى مـصـر، كـانوا مـزودين بقـراءاتهم عنهـا فى الآداب الكلاسيكيـة والمعاصرة ودراسـات الاستشراق الاكـاديمى، إلا أن الناحية الجمـالية البحـتة هى التى استأثرت باهتماماتهم، إجتذبهم سحر حياة الشرق فى القاهرة، فعايشوها واندمجوا فيها، حريصون أن يلزموا أنـفسهم مـاتوحى به مشـاعرهم وأحلامـهم، فلم يحفلوا بـلغة الاستـشراق المعـهودة عن سيطرة الغـرب على الشرق، ولم يبـالوا بأن يكون انتاجـهم وإبداعهم يتفق وتوجـيهـات حكوماتهم

الاستعمارية !

ومع بداية العصر الڤيكتورى، اجتذبت فنون العمارة الإسلامية، وصخب الحياة اليومية لأهل القاهرة - بأدق تفاصيلهـا - الكثير من الفنانين الأوربيين، ومنهم من أقام بها لعـدة شـهور، ومنهم من راقت له الحياة، فامتدت إقامته لعدة سنوات !

من بين هؤلاء: جون فردريك لويس، دافيد روبرتس، هنرى والسن، كارل مولر، جون ڤارلى، لودفيج دويتش، ماريلا، جيروم، ماكوفسكى...

الفنان «لويس - John Frederiek Lewis» أبرع وأشهر المستشرقين البريطانيين، عاش بالقاهرة من عـام ١٨٤٢ إلى عـام ١٨٥١، يحـيا حـيـاة «أكلوا اللوتس».. كـمـا أشـار صديقـه «ثاكـراى- Thackeray» معرضا بقـصيدة«كوليردج» التى تصف هؤلاء الذين يجـدون النسيان فى أكل بذور زهرة اللوتس !

بدأ لويس حياته: رسـاما بالألوان المائية، وقد حقق نجـاحا باهرا فى صالون:«جمعـية الألوان المائية «فى عام ١٨٥٠ بلوحته الشهيرة«الحريم»..

وقـد تميزت لـوحات لويس بالـدقة المتناهـية، وثراء ووضـوح التـفاصـيل والتـجـديد فى إخـتـيـار موضوعاته، بعيدا عن «الاستعراضات الرومانسـية»أو.. الكليشيهات التقليدية عن الشرق: كأسواق العبيد، والآثار، والحريم.. فقد كان ينظر بعين واقعية إلى كل مايحيط به من مشاهد لحياة القاهرة، مبتكرا« لوحات هادئة» مستلهمة من صميم الحياة اليومية محافظا على تقاليد العصر الإيقونية، حتي وهو يبدع مشهدا شرقيا شعبيا، مثل كاتب الرسائل فى السوق.

بالإضافة إلى ذلك، عندما كـان يرسم المنازل وقصور الشرق الفاخرة، فقـد كان يهدف بالأساس إلى التعريف بثقافة عريقة، كانت فى مفهوم الغرب - حتى ذلك الحين - ثقافة بربرية ! *

ومن الأهمية أن نعرض لبعض انطباعـات هذا الفنان العظيم، التى دونها فى مذكراته، ومشاهد اثارت خيـاله فى شوارع القاهرة، فيـصف: بعض النساء المصريات الـلائى تحجبن تماما، ماعـدا وجوههن الرقيقة و«سيدات تـركيات قد ارتدين عباءاتهن السوداء، يسارع فى خدمتـهن عبيد فى ملابس ملونة بألوان قوس قزح »!..

---

*Thornton L.: les orientalistes, Peintres voyageurs 1828-1908, Paris,1983,P.138

ويصف« سوق العبيد» فيقول:«٠٠ أحد الأماكن التى افضلها، مع أننى لم أكن رسام أشخاص- كان السوق قائما فى فناء مفتوح، محاطا بالاروقة على الطريقة الرومانية، والعبيد معروضين للبيع فى وسط هذا الفناء، وكان عددهم نحو الأربعين معظمهم من الشباب، وبعضهم أطفال، كان مشهدا مثيرا٠٠ بالرغم من أننى لم أكن شاهدا عليه٠٠ كما كنت أتخيله دائما مشهدا يبعث على الاسى والحزن٠٠والجوارى الجميلات، يلزمن غرفة أعلى الفناء: بصفة عامة كن قوقازيات وحبشيات٠٠ وغندما يتقدم أحد المشترين، أرى التاجر يرفع رداء سميكا من الصوف يغطى أجسادهن، ليعرضهن على من يبغى الشراء٠٠!

بعض هؤلاء الفتيات، كن يتمتعن بقدر فائق من الجمال، قوام ممشوق وصدور ناهدة، وقسمات دقيقة، وعيون رائعة تنطق بمكنون مشاعرهن!٠٠ وتلك الأوقات التى قضيتها فى القاهرة، هى أحلى ماعشت من عمرى فهذه التجمعات، والمشاهد الغريبة والأزياء والعادات العجيبة، لايمكنها أن تخاطب إلا٠٠«الفنان» !

أما الفنان«دافيد روبرتس» فقد أبدع ستة ألبومات رائعة للآثار الإسلامية فى كل ربوع الشرق، وقد سمح له بالرسم داخل المساجد، بعد التأكد من أن فرش الرسم الخاصة به ليست سن شعر الخنزير ! فى عام ١٨٣٨، صعد روبرتس فى النيل حتي أثيوبيا، ثم جاس بصحراء سينا وفلسطين، وبعلبك ، وهو يتحلى بزى عربى٠٠ فالفنانون الإنجليز لم يستطيعوا مقاومة إغراء العودة إلى الحياة الفطرية٠٠ فهجروا الأناقة من أجل العمامة٠٠ والحذاء من أجل البابوج٠٠!

أقاموا فى الأحياء الشعبية، واقتننوا الجوارى والعبيد، ودخنوا الحشيش٠٠ فقد ضاقوا ذرعا من تزمت العهد الفيكتورى، ولاشك أن فكرة«الحريم» كانت تعابث خيال الأوروبى كلما تذكر الشرق، وتجعله أسير حلم يرى فيه نفسه – سلطانا – محاطا بعدد من الغيد الحسان !

ولوحات روبرتس التى ضمنها كتابه الضخم:«الأراضى المقدسة ومصر والنوبة» حققت له شهرة واسعة، جعلت منه ألمع الفنانين الأوروبيين الذين زاروا الشرق، وقد سرد انطباعاته ونشاطه الفنى فى يوميات رحلته فى مصر، وفيها يصف القاهرة، بأنها مدينة لاتماثلها مدينة أخرى، بمناظر شوارعها وأسواقها العامرة وتنوع طرزها المعمارية٠٠ بالرغم من بعض المعوقات التى أشار إليها فى مذكراته، مثل٠ ضيق الشوارع واكتظاظ الأسواق وفضول الناس٠٠ فكتب قائلا *:«أخشى أن تطأنى الإبل بأثقالها فاتحول إلى مومياء، فمشهد الإبل على مافيه من جمال قد يكلفك حياتك٠٠ يالها

من أسواق تختلط فيها شعوب الشرق جميعا، وأتراك ويونان فى أزياء غريبة، وأخلاط متنافرة من البدو المسلحين، وصعاليك مشردين ونساء محجبات يمتطين الحمير أو البغال، يحرسهن عبيد أشداء ، وسقاءون بقربهم الجلدية المميزة، وأسواق تتنوع معروضاتها بسلع شرقية وأوروبية٠٠ وأصحاب الحوانيت فى وقارهم، لاينزعون مباسم الشبك من أفواههم ولا أعتقد أن التدخين فى مصر قاصر على الرجال وحدهم، بل إن بعض النساء المصريات يدخن فى بيوتهن، ويستخدمن نرجيلات فخمة ثمينة، كل ذلك يشكل أمامى لوحات ماكنت أحلم بها٠٠ ولا أستطيع أن أمنع نفسى من الصياح متعجبا أمام هذه المشاهد المتنوعة:« ياله من جمال٠٠» ياله من سحر آسر« يالها من ملابس»٠٠ خشيت أن يعتقد دليلى (الترجمان) أننى أصابنى مس من الجنون٠ الحقيقة أنى كنت مذهولا من كل ماهو مدهش وجديد أمامى، ومقتنعا أنى وجدت نفسى على أرض بكر، وبأن هؤلاء الناس لم يسبق أن رسمهم أحد٠٠» !

وقد برع روبرتس فى استخدام الضوء والظل- استخداما دراميا- فى تصوير أطلال مصر القديمة٠٠ إبداع إنطوى على لمحات شجية خوفا على اندثار أعظم ماخلفته العبقرية الإنسانية٠

وكان الفنان«هنرى والسن» مبدع اللوحة:«موت شاترتون- Mort de chatterton» قد جلب معه بعض لوحات عن شوارع القاهرة، ولكنها ليست فى حيوية لوحات روبرتس أو لويس٠

وقد ألهمت القاهرة الإسلامية، وطقوس الحياة الشعبية، أبرع الفنانين المستشرقين النمساويين:«ليوبولد كارل مولر» الذى أقام بمصر عدة سنوات، وكانت أشهر لوحاته:«السوق على أبواب القاهرة» التى تميزت بالدقة وثراء التفاصيل وروعة الألوان، جعلها تلقى كثيرا من الشهرة الواسعة والإقبال، خاصة فى إنجلترا٠

وتمكن مولر من إجتذاب إثنين من أشهر الرسامين النمساويين«لينباخ- Lenbach»، و«هانزماكارت-H. Makart» وبالفعل زار ماكارت مصر عام١٨٧٢، مع مجموعة من الأمراء، وكان شديد الإعتداد بعبقريته، معتقدا أنها تضارع عبقرية«روبنز-Rubens» النمسوى، وتميزت لوحاته بالابهه والفخامة، أشهرها لوحته الخالدة«كليوباترا»٠

والفنان الفرنسى«بروسبير ماريلا-P. G Marilhat» الذى اصطحبه عالم النباتات الألمانى «فون هيجل» إلى الشرق عام١٨٣١ لمدة عامين فتحقق حلمه بزيارة مصر وسوريا ولبنان وفلسطين.

وأبدع فى تصوير أنماط الحياة الشـرقية، وبلغ ذورة فكره الجمالى فى لوحة:«مشـهد من ميدان فى القاهرة» وأبرز فيها شاعرية حياة المدينة وواقعها اليومى٠ *

وقد توغل مـاريلا فى روح مصـر، وفى مملكة الضوء واللون حـتى اشتـهر باسم«مـاريلا المصرى» ومشاعره الذاتيـة أضفت على الفن الاستشراقى مـسحة رومانسية جذابة ومـؤثرة، وشكلت أشجار النخيل الباسقة والظلال الوارقـة ومياة النيل المتألقة والرمال الذهبية ومنائر المسـاجد ووجوه البشر والأزياء الشرقية والإبل وألوان السماء« مادة أحلامه المنشودة وحياته المثالية !»

وفى تقييمه لصالون١٨٣٤، كتب «تيوفيل جوتييه-T. Gothier»«لقد حققت لوحات ماريلا صورة أحلامى عن الشرق، فـفى لوحاته أحسست بأننى قـد وجدت وطنى الحقيقـى، وحين أشحت بوجهى عن هذه اللوحات، انتابنى حنين شديد إلى الشرق»٠

ومن أشهر لوحات مـاريلا التى اكتسبت سحرا خـاصا وشاعرية دافقة هى لوحـات:«ساحة الأزبكية فى القاهرة»٠٠«منظر من بولاق»٠٠«أطلال مسـجد الحاكم»٠٠« على ضفاف النيل»٠٠«مـسجد باب الوزير»٠٠«مقهى فى بولاق»٠٠«منظر مصرى»٠

كذلك اسـتقبلت القاهرة الفنان:«ليـون اوجست بيلى»تلميـذ ماريلا، فى عام ١٨٥٠، وأشهـر لوحاته «الحجيج فى طريقهم إلى مكة» التى حظيت بنجاح هائل فى صالون باريس سنة١٨٦١٠

أيضا الفـنان الفرنسى«شـارلز فرير-Ch. Th. Frere» الذى كان من المسـتشـرقين البارعين، زار القاهرة عدة مرات، وأتخذ لنفسه مرسـما بها، وظل صالون باريس يعرض ابداعاته عن مظاهر حياة الشرق، ومشاهد عن النيل والصحراء، منذ عام١٨٣٤ حتى عام١٨٨٢٠

وبالإضـافـة إلـى هؤلاء الأعـلام من الفنانـين، كـان هناك أجـيـال من الـفنانين منهم علـى سـبـيل المثـال:«هوراس فرنيـة-H. verntet» و«ادريـان دوزاتـس-A. Dauzats» و«شـامـارتان-Ch. Champmartin» و«برشير-M. Berchere» و«جان ليون جيروم -E. L. Gerome» والذى كان من أشهر الفنانين الأوروبيين٠٠٠

خلال الـنصف الثانى من القـرن التاسـع عـشر، هام عـشقـا بمصر واسـتحـوذت الآثار الإسلامـية والفرعونية على اهتماماته،التى اتسعت لتشمل تفاصيل الحياة اليومية والأحداث التاريخية٠

د٠ زينات البيطار: مصدر سابق، ص ٢٦٤

ولايمكننا أن نغفل الفنـــان الروســـــى« قســـــطنطين ماكوفســـكى ـ C.Makovsk»
ولوحته الشهيرة:«المحمل» التى أبدعها عام١٨٧٠٠

وكذلك الفنان البريطانى«لويجى ماير- L. Mayer» وعشرات من اللوحات التى تمثل مظاهر الحياة فى القاهرة، والفنان الأديب« وليام بارتليت-W. Bartlett» الذى إهتم كثيرا بتاريخ وشخصيات الكتاب المقدس وتاريخ الشرق عامة، وكانت لوحاته تعرض فى كل أرجاء بريطانيا، أيضا الفنان«وليم مولر- W. Muller» والفنان«إدواردلير» اللذين اجتذبهما سحر الشرق، وإن تركز إهتمامهما على الوصف الطبوغرافى للمنطقة٠

أما الفنان الأديب الفرنسى العظيم:«اوجين فرومانتان-E. Fromentin» الذى استجاب لإلهامات الشرق، فقدم فى مذكراته صورة صادقة عن مصر٠خاصة وأن معرفته بالشمال الأفريقى وعمق ثقافته قد هيأته لتفهم مصر بشكل جيد، ولوحاته كما عبر عنها- تيوفيل جوتيه- توحى بأنها تسجيل لانطباعات خاطفة- لمحها وهو ممتط صهوة جواده، وفى كلماته حماس برئ لايكذب أبدا٠٠ فيقول فرومانتان:*«كيف يمكن تصور البانوراما العجيبة الرائعة لهذه المدينة٠٠ القاهرة٠٠ مدينة القباب والمآذن التى لاتحصى والمنتشرة فى كل مكان٠٠ تنوع لانهائى لمشاهد تتراءى أمام عيناى بسرعة مدهشة، أسجل كل ما أستطيع عن إنطباعاتى، برسومات كروكيه، فى مفكرتى، مستخدما قلمى الرصاص المفضض الذى لايحتاج إلى تقليم»٠

ولقد سجل لنا هؤلاء الفنانين الرحاله الأوربيين، حقبة من تاريخ القاهرة، مشرقة بالضوء واللون، متألقة بأناقة الإختيارات، فأبرزوا عالمنا الشرقى، الجميل الغامض، والذى رأى فيه هؤلاء الأوروبيين:سحر أرواحنا ورفعة أذوقنا الجمالية والاخلاقية٠٠

كان عالمهم الخيالى عن الشرق، مزدحم بصور مستمدة من أساطير ألف ليلة وليلة، والقاهرة التى ظل للحياة الشرقية فيها:طابعها الساحر الجذاب الطريف قد ألهمتهم موضوعات مبتكرة، رائعة ومثيرة٠٠ خلدوها بفرشاتهم صورا٠٠ ستظل تثرى وجداننا، فالفن هنا- كما كتب ديلاكروا- يهيم فى الشوارع٠٠ فقاهرة الشرق هى فردوس الفنان وحلمه الجميل٠٠ فيكتب«أرثر رونيه- ArthurRone» الذى زار القاهرة عام١٨٦٤٠*

*Fronentin E.: Les Lettres de Jeunesse,Paris,1909

«كيف يتأتى للمرء أن يصف تلك البقعة الساحرة، حيث تتشابك الطرقات والأزقة والميادين، فى إنتظام مفعم بسحر النزوة، فكل منزل فيها، عمل فنى تتجلى فيه الأصاله، وأبدعته يد رقيقة٠٠ كيف يمكن أن أرسم الصمت فى الهواء والنور المشرق الذى يعم المنائر الباهرة، فى تقابله مع الضوء الخافت الحنون الذى يشيع فى الطرقات، فيبعث فى النفس حبورا سرمديا، وتمتزج الصورة واللون والحركة ٠٠ كل مفعم بروعة وصخب الحياة٠٠»٠

*فولكوف : القاهرة، مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة: أحمد صليحه، القاهرة، ١٩٨٦ص١٥٠

جون فردريك لويس

كانت بلاد الشرق التى نهضت فى احضانها: ابداعات فكرية وحضارية للعقل الإنسانى، تشكل عالما متوهجا بروعة الإبداع وسحر الخلود، فاجتذبت كثير من الأدباء والرحاله والفنانين الأوربيين٠٠
من بين هؤلاء، الفنان البريطانى الأشهر٠٠ جون فردريك لويس John -Frederiek Lewis (١٨٠٥ــ ١٨٧٦) بدأ لويس حياته رساما بالألوان المائية، وعاش فى انطواء وعزله متحفظا فى علاقاته مع الآخرين، فكانت حياته أشبه بحياة«العقاب» الذى آثر أن يعيش وحيدا٠٠! *
ترك لويس عددا من الرسائل، لكنه لم يدون مذكراته، أهم وأخصب فترات حياته، تلك العشر سنوات التى قضاها بالقاهرة، ولم توثق هذه المرحلة إلا من خلال روايات بعض أصدقائه وزائريه٠
عاش لويس بالقاهرة، مع بداية عام١٨٤٢حتى عام ١٨٥١، إستقر بمنزل رحب بحى«الأزبكية» بالقرب من باب اللوق، حيث تزيا بأزياء شريف عثمانى٠٠٠ وما من شك أنه حاول أن يقلد الارستقراطية المصرية، تماما كما فعل المستشرق«ادواردلين» الذى حاكى واقع المصريين فى أدق تفاصيل حياتهم٠٠
فى عام ١٨٤٢، إستقبل لويس، صديقه الفنان«ريتشارد داد» كما إستقبل راعى الفنون والعلوم والآداب٠٠ سير توماس فيليب٠ وفى عام ١٨٤٤ إستقبل الأديب المستشرق «وليام ثاكرى» الذى كتب عنه أروع حكاياته وأكثرها أهمية، فى الفصل الأخير من كتابه:« ملاحظات عن رحلة من كورنهيل إلى القاهرة»٠٠ ووصفه بأنه كان يحيا حياة «آكلوا اللوتس» !*
معرضا بقصيدة«كوليردج» التى تصف هؤلاء الذين يجدون النسيان فى أكل بذور زهرة اللوتس ٠٠!
وكتب ثاكرى: لبيت دعوة صديقى جون على العشاء، الذى يعيش حياة شرقية كاملة٠٠ فالرجل

*Thackeray W.: A Journey From corn Hill to Grand Cairo, 1846,P.186
*Ackerman G. M: les orientalis de l' ecole Britannique, Paris, 1990,P.68

يرتدى روبا أصفر طويل، تتدلى منه لحية شهباء طويلة ، محلوق الرأس، مغطى بقلنسوة قصيرة يعلوها طربوش٠٠ بادرنى بالسلام فى ود ملحوظ، خلع البابوج(حذاء خفيف بدون كعب) من قدميه قبل أن يأتى لنجلس سويا على الأريكة٠٠ صفق بيديه مناديا «مصطفى» بصوت رخيم، وسرعان مادلف مصطفى، حاملا قناديل، ثم أتى بالشوبك وأقداح القهوة٠٠ خلال حوارنا، لاحظت أن فتوره ولامبالاته الشرقية، قد أخلت المكان لمودته البريطانية !٠٠ وبدأ رفيقا ممتعا، بالرغم من أن مظهره يتوافق مع الحياة الشرقية٠

وعندما يخرج لويس، يمتطى جوادا أشهبا مسرجا بسرج أحمر، وبصحبته خادمين يسيران بجانبيه، مرتديا حلة إحتفالية رائعة، زرقاء قاتمة السترة مطرزة وكذلك البنطلون، وذقنه تستدير على صدره، فيبدو كواحد من النبلاء٠٠ وسيف دمشقى معقوف يتدلى على فخذه، وغطاء رأسه الأحمر يضفى عليه مهابة ووقار البكوات٠٠ !

لا يهتم بتوافه الأمور، ويحيا حياة حالمة مسترخية، مابين ضباب الطباق٠٠ وتناول القهوة، يمكث منفردا فى عزلته الاختيارية، وقال لى:أنه لايشعر بحاجته إلى قفاز من الجلد الأبيض أو ياقات منشاه، أو حتى إلى قراءة الصحف اليومية٠٠ بل أن حياته هذه فى القاهرة، كانت فى عينيه تحضرا ورقيا٠٠ !

فى عام ١٨٥٠، أبدع لويس لوحته الشهيرة:«الحريم»٠٠ صور فيها مشهدا داخليا فى منزل راق، ورب البيت بين نسائه فى الحرملك، من الجوارى والخدم، يجلس بين أكداس من الوسائد الأنيقة، وجميعهم يتطلعون فى فضول ممزوج بمشاعر متباينة: إلى وافدة جديدة إلى الحريم٠

وقد حقق لويس نجاحا باهرا بهذه اللوحه، فى صالون«جمعية الألوان المائية» بلندن، فى نفس السنة٠ وقال عنه الناقد الفنى الكبير:«جون راسكين»٠٠٠« لن تجد فى تاريخ الفن، أكثراكتمالا وتفردا من أعمال لويس»٠

وقد تميزت لوحاته بالدقة المتناهية، وثراء ووضوح التفاصيل، والتجديد فى اختيار موضوعاته، بعيدا عن«الاستعراضات الرومانسية» أو الكليشيهات التقليدية عن الشرق كأسواق العبيد والآثار، فقد كان ينظر بعين واقعية إلى كل ما يحيط به من مشاهد، مبتكرا«لوحات هادئة» مستلهمة من صميم الحياة اليومية، محافظا على تقاليد العصرالإيقونية حتى وهو يبدع مشهدا شرقيا شعبيا، مثل «كاتب الرسائل» فى السوق٠

بالإضافة إلى ذلك، فعندما كان يرسم المنازل وقصور الشــرق الفاخرة فقد كان يهدف بالأساس إلى التعريف بثقافة عريقة، كانت فى مفهوم الغرب حتى ذلك الحين- ثقافة بربرية !

وقد دون فى بعض رسائلــه، انطباعاته عن مشاهد أثارت خـياله فى شوارع القاهرة، فـيصف«سوق الرقيق»فيقول: ٠٠أحد الأماكن التى أفضلها، كان الســوق قائما فى فناء مفتوح، محاطا بالاروقة على الطريقة الرومانية، والرقيق يعرضــون للبيع فى وسط هذا الفناء، وعددهم نحو الأربعين معظمهم من الشباب، موبعضهم أطفال، كان مشهدا مثيرا٠٠

بالرغم من أننى لم أكن شاهدا عليه٠٠ وكما كنت أتخيله دائـما: مشهدا يبعث على الأسى والحزن٠٠ والجوارى الجميلات يلزمن غرفة أعلى الفناء وهن غالبا قوقازيات وحبشيات٠

وعندما يتقدم أحد المشترين، أرى التاجر يرفع رداء ســميكامن الصوف يغطى أجسادهن، ليعرضـهن على من يبغى الشراء٠٠

بعض هؤلاء الفتـيات، كن يتمتـعن بقدر فائق من الجمــال، قوام ممشوق، وصدور ناهدة، وقـسمات دقيقة، وعيون رائعة تنطق بمكنون مشاعرهن٠٠!

تلك الأوقات التى قـضيتـها فى القاهرة، هى أحلى مـاعشت فى عمـرى، فهذه التـجمعـات، والمشاهد الغريبة، والألوان الصاخبة، والأزياء والعادات العجيبة٠٠ لايمكنها أن تخاطب إلا٠٠ «الفنان» !

دافيد روبرتس

ستوك بريدج ١٧٩٦ـ لندن ١٨٦٤

لاجدال فى أن «دافيد روبرتس» هوأعظم الفنانين المستشرقين، فقد فاق الجميع عبقرية وأسلوبا وإنتاجا٠٠

ومن أول وهلة، نلحظ أن بدايات روبرتس وتكوينه وحياته لم تكن عادية، فهو ينتمى إلى عائلة فقيرة جدا، إستقرت فى ستوك بريدج بمدينة ويست كيرك، كان والده إسكافيا، لم يهتم بتعليم إبنه، لكنه إكتشف فيه ميوله إلى الرسم الذى لايتناسب مع صبى فى مثل بيئته٠٠! *

بمجرد أن تعلم دافيد الصغير القراءة، كان يلتهم الكتب إلتهاما، وحبه للمعرفة جارفا٠٠ ألحقه والده بمدرسة داخلية، غير أن القسوة التى كان يعامل بها، قد تركت فى حياته أثرا مريرا٠٠«وكالصبيه الآخرين، كنت أعامل بوحشية، حتى أن جلد يداى وقدماى كان مشققا بصفة دائمة من أثر الضرب بالعصا»٠٠!

طلب دافيد أن يترك المدرسة ويلتحق بعمل ما، وأبدى رغبته فى أن يصبح رساما أو يمتهن أعمال الدهان، وإقترح أحد أصدقاء الأسرة، أنه يستطيع أن يمارس الرسم، إذا ماتعلم مهنة تتيح له أن يكسب عيشه، ويتكفل بنفقاته كفنان، حينئذ كان فى العاشرة من عمره٠

قبل اختراع الدهان بالزيت، كان دهان المبانى بمواد بسيطة، والواجهات تتطلب مهارة ودقة فى زخارفها، وإستطاع روبرتس أن يتعلم الكثير خلال تلك الفترة، وأصبح الفتى المدلل لصاحب فريق العمل- جافان بيجو- وبمرور الزمن، بدأ روبرتس يبدى قلقا وشعورا بعدم الإستقرار، وبالرغم مما عاناه من قسوة ومرارة فى تلك المرحلة، إلا أنه اكتسب من بين فريق العمل هذا صديق عمره«دافيد هاى» الذى تخصص فى أعمال الزخرفة الداخلية، والذى أصبح فيما بعد، فنانا شهيرا وكاتبا فى الفن والجمال، بعض زملائهما كانت لهم أيضا طموحات، فأقاموا لأنفسهم مرسما فى قبو بمحل

Roberts D. : Egypt and nubia, Landon, 1848, P. 18-19

إقامتهم· فى سن السابعة عشرة، عمل روبرتس نقاشا فى «بيرث» وإحتفظ بهذا العمل لمدة سنتين· بعد ذلك، عمل روبرتس لعدة سنوات، فى أعمال الزخـرفة والديكور بأحد المسارح، وشارك فى إنتاج بانوراما تجارية شـعبية، وقد اكـسبته هذه الممـارسات، مهارة ،وخبـرة وسرعة عجيـبة، فى تغطية مساحة كبيرة من قماش الرسم فى يسر وسهولة، والأعمال المسرحية المؤثرة، أكسبته دراية بالفنون المرئية، وأصقلت أسلوبه ورؤيته كـفنان متميز، وأعدته للقيام برحلته الشـهيرة إلى مصر والأراضى المقدسة ١٨٣٨- ١٨٣٩·

ومما لا شك فيه، أن المعرض الذى ضم نتاج هذه الرحلة، كان فـاتحة لموجة من الفنانين المستشرقين، ورحيلهم إلى الشرق، خلال ا لعشر ســـــــنوات

التاليـة، وعلى رأسهم:داڤيـد ويلكى وريتشارد داد·· وقـد وضـع روبرتس الفنان الرحاله، منهـاجا جديا يعتمد على البلاد الإسلامية المعـاصرة، من زاوية الفن القديم«متاحف أثرية» تقدم على الطبيعة: تقاليد وعـادات وأزياء متوارثة من الأزمنة القديمة، وكـان فى ترحاله، يهتم كثـيرا بتفاصـيل الحياة اليومية للشرق، كما لاحظ عـدم إتصاله بالمواطنين إلا فى حالات الضرورة القصوى، وقد يكون ذلك عرفـا سائدا، باعتـبار أن الدليل الذى يقـود القافلة أو المتـرجم الرسمى التابع للبـلاط العثـمانى هو بمثابة«حاجب بين المؤمنين الحقيقيين وهؤلاء الكفار الذين يزورون هذه المناطق» !

فى الرابع والعشرين من سبتمبرسنة١٨٣٨، وصل روبرتس إلى الاسكندرية، بعد أن توقف بجزيرة كريت ، وقد أبحر منها بعض الحجاج المسلمين فى طريقهم إلى مكه···

«ومن المسلم به، أننى ومفكرتى الخاصـة بالاسكتشات السريعة، كنا فى شغل عـما حولنا» كتب ذلك وهو يصف هؤلاء الحجاج فى خطاب إلى إبنته···· «ويؤدون خـمس صلوات فى اليوم، ومشهدهم ساجدين من أكثر المشاهد تأثيرا» وأشار إلى تميز المسلمين بالتقوى والورع دون تعقيد·

وفى رسالـة أخرى:«قمنا بـزيارة سوق الرقيق المـثير للنـفور، الفتـيات يمثلن الغـالبيـة العظمى من الرقيق·· البعض منهن شركسيات، والبعض الآخر زنجيـات، الشركسيات يرتدين ملابس قيمة، أما الزنجيات فكن يجلسـن القرفصاء تغطى أجسـادهن ثياب رثة ممزقة، تحت شمس محـرقة يمكنها أن تقتل أى أوروبى، لقد كان مشـهدا مثيرا للملل والاشمئزاز، وغادرته وأنا فخـور بإنتمائى إلى أمة قد لفظت تجارة الرقيق»··!*

*Roberts Ibid:P.62

حساسية روبرتس أثارها هذ ا الموضوع اللا إنساني، في نفس الوقت تزايدات حملات أنصار إلغاء الاسترقاق، وطالبوا بفرض قوانين ضد الرق في البلاد الأخرى، من ناحية أخرى، كانت الطرق التي يسلكها تجار العبيد، هي ذاتها التي يسلكها الرحاله والزوار الأوروبيين، فكانوا كثيرا مايلتقون بقوافل الرقيق!

في الاسكندرية، أمد الكولونيل«باترك كيمبل» القنصل العام البريطاني، الفنان روبرتس بخطابات توصية إلى محمد على باشا نائب السلطان العثماني وحاكم مصر، وبعد عدة أيام قضاها بالاسكندرية، بدأ رحلته إلى القاهرة، بصحبة مجموعة من السائحين الإنجليز الأثرياء وخادم يدعى«إسماعيل» من الاسكندرية··

وفي القاهرة، تفاوض لإستئجار دهبية، هو وثمانية من رفاقه، ليركبوا النيل حتي الشلال الثاني، وكان الإتفاق محددا بثلاثة شهور، وبواقع خمسة عشر جنيها إسترلينيا لكل شهر·

وبينما كان روبرتس فخورا بأنه أول فنان بريطاني يصعد في النيل حتي لحق به الفنان«وليام جيمس مولر» بعد أربعة أسابيع تقريبا··

وقد بدأ من خلال إبداعات روبرتس ويومياته، إهتمامه البالغ بآثار مصر القديمة·· وقد تأثر بما شاهده من قوافل حزينة للرقيق المهرب، ومن أعمال السخرة والخدمة العسكرية الإجبارية·· وآثارإستياءه أن دهبيتهم إلتقت المركب الفاخرة للباشا، ولكن لم توجه لهم الدعوة··!

أطلال الفراعنة التي شاهدها روبرتس، تختلف تماما عما يشاهده السائحون اليوم، فقد كانت في أمس الحاجة إلى عمليات ترميم هائلة، والمعابد العظيمة - حينئذ- كانت مدفونة في الرمال حتى منتصفها، وإمتدت إليها بيوت المواطنين وتداخلت معها !

كتب روبرتس في الأقصر*:«سرت هذا الصباح، على أحجار وأطلال هذا المعبد الهائل، المندثر بين منازل مشيدة بالطوب اللبن·· تسلقت مدخل المعبد، حيث أمكنني رؤية بقايا هذا المعبد وأعمدته، المتداخلة مع المباني الحديثة»·· وشدما آلمه أن يعيش المصريون حياة بدائية، بائسة·· وفي أدفو، أرهقه التفكير في هذا الأمر:«هل من الممكن ـــ ذات يوم ـــ أن تعود هذه الصحراء لتصبح خلية للنشاط الإنساني كما كانت؟» ·· وربما كان ذلك محتملا ـــ من وجهة نظره ـــ طالما«أن مصر هي محور إرتكاز علاقة بريطانيا بالهند»!

---

*Roberts D.:Egypt and nubia, London, 1848, p.18-19

وبينما كان روبرتس يفكر فى هذا التساؤل، كان «توماس واجورن» احد كبار ضباط البحرية البريطانية فى الهند، يجرى مفاوضات مكثفة مع محمد على للموافقة على مد خط سكة حديدية بين القاهرة والسويس٠٠

وفى أبى سمبل، أطلق روبرتس لمشاعره العنان، مأخوذا بسحر وجاذبية المعبدين المنحوتين فى الصخور، فمكث هنالك بضعة أيام، بينما واصل رفاقه رحلتهم، فأنجز كثيرا من الاسكتشات السريعة للأطلال الرائعة التى تراكمت عليها الرمال٠٠ وتلك كانت أقصى نقطة وصل إليها بوادى النيل٠٠ وكانت كوم أمبو إحدى المدن التى أعجب بها ورسم معبدها الشهير٠

عندما توقف فى أسيوط، اكتشف أنه نسى كراسة الاسكتشات النوبية، على مسافة ١٣٠ ك/ م فى المقبرة المنحوتة فى صخور جرجا٠٠ وأصبح روبرتس فى مأزق، كاد أن يتحول إلى كارثة، لأن حصيلة العمل فى نصف الرحلة مهدد بالفقدان، ولحسن حظه، كانت هناك مركب على وشك الإبحار جنوبا، فإتفق مع إثنين من ركابها أن يأتيا إليه بهذه الكراسة الثمينة، وإضطر روبرتس إلى التوقف عن عمل أى شئ، ويكاد القلق يمزقه، حتى عادت إليه ضالته المنشودة !

عقب عودته إلى القاهرة، كتب إلى إبنته:«وخلال رحلتى هذه، مررت ببقايا آثار عظيمة، وأماكن كانت مأهولة قديما، عاشت فيها أسرات عريقة ثم طواها النسيان والزمان٠٠ بعض بيوت قبطية مهجورة وعلى وشك أن تتقوض٠٠٠٠وأطلال تدل على مدن عظيمة، كانت تزدحم بشعوب دأبها العمل والإبداع، وتزدان بأضخم وأروع المعابد، ومبان فخمة عجيبة٠٠ اليوم،تغير كل هذا، أصبحت مهجورة، قاحلة، معزولة، تتولاها حكومات حمقاء، وسكانها اليوم يجوسون خلال تلك الأطلال كأنهم حيوانات بدائية٠٠ أتأملها وقلبى مفعم بالألم !٠٠ »

«حصلت على ملف هائل من الاسكتشات لمعابد وآثار الفراعنة، ذات الأهمية الكبرى، وأتمنى أن أحقق ملفا آخر عن جوامع القاهرة التى لانظير لها فى العالم٠٠

والعقبة الوحيدة التى قد تعترضنى، هى ضرورة الاستسلام للمعتقدات الإسلامية، التى لاتسمح — للكافرين — بأن يطأوا ويتوغلوا داخل مساجدهم»!

ولكن بفضل علاقاته، لم تعترضه أى مشكلة، فحصل على فرمان من عباس باشا، حفيد محمد على، برسم الجوامع، ومن الداخل أيضا، بصحبة بعض الجنود إذا كانت هناك ضرورة، وكان محمد على باشا حريصا على وجود علاقات جيدة مع الإنجليز، وكما كانت فرماناته تتمتع بسلطة قوية فى

مصر، كانت لها أيضا فى بلاد الشام، قوة وسرعة النفاذ٠

وفى رسالة كتبها روبرتس إلى شقيقته:«شكرا لله، بفضل محمد على أصبح السفر إلى سوريا اليوم آمنا٠٠ كأننى فى إنجلترا» !

وبالفعل لم يكن روبرتس فى حاجة إلى حماية الشرطة فى القاهرة، وظل يرسم بين الناس، حتى إذا إمتد به الوقت، غير أن بعض المسلمين المتشددين الذين يحرمون رسم الصور، عبروا عن إستيائهم بأسلوب لايخلو من جهل وطرافة٠٠ فأحيانا يجد حجرا أو برتقالة تتخذ طريقها إلى اللوحة التى يرسمها٠٠!*

كتب روبرتس فى ٢٩ ديسمبرمن يومياته:«رسمت لوحتين كبيرتين إحداهما لشارع يؤدى إلى المارستان، والأخرى لنفس الشارع ولكن من زاوية مختلفة، يغلب على مشاعر الناس المودة، وفى بعض الأحيان أجد صعوبة فى الرسم فى شوارع مكتظة بالعابرين، لكن بصفة عامة، كل شئ يسير بطريقة مرضية»٠

كانت سعادة روبرتس تفوق كل وصف، عندما يرى نوعيات مختلفة من الناس «٠٠ جميع شعوب الشرق تختلط ببعضها»٠٠

ذات يوم، إرتدى زيا عربيا، وصحبه حارس نوبى، ودخل جامع السلطان الغورى، حتى توسطا صحن الجامع، وفيه تحلق بعض الرجال المنهمكين فى تطريز قطعة كبيرة من القماش الفاخر. وإقترب روبرتس أكثر، ورأى البعض يجثون ويقبلونها، فجثا على ركبتيه وتناول طرفا منها ليتفحصها، فإنتزعها حارسه من يده فى الحال ودفعه إلى الطريق٠٠ لقد أراد روبرتس أن يلمس الكسوة المقدسة المخصصة للمشهد النبوى بالمدينة!

*Ballantine J.:The life of David Roberts, Edinburgh, 1866,p96

جان ليون جيروم

(١٨٢٤-١٩٠٤)

الذى شغف حباً بمصر، هو أحد أشهر الفنانين المستشرقين فى القرن التاسع عشر، كانت أولى زياراته لمصر - مستجيباً لإلهامات الشرق - عام ١٨٥٤، ونزوع رومانسي نحو الشرق الساحر الغامض، ولوحاته الاستشراقيه هي أبرز أعماله ، التى إحتلت الصداره في معارض "صالون باريس" لمدة ثلاثين عاما. . .

وقد كتب جيروم يوميات رحلته الاولي في ثلاثين صفحه، تولي نشرها "مورو فوتيه" . . أيضا وصف تلميذه "بول لينوار" رحلة جيروم في كتابه المنشور عام ١٨٧٢. . كما إستخدم الكاتب الصحفي «ادموند آبوت» الذى شارك جيروم فى رحلته، الجزء المصرى من الرحله، كلوحه أساسية لقصته "الفلاحه" التى نشرت عام ١٨٧٠ وأهداها الى جيروم.

وقد ضم فريق هذه الرحله، بعض الصحفيين والمصوريين من أصدقاء جيروم: البير جوبيل، ليون يونات، فامارس تيستاس، ريتشارد جوبى، وفردريك ما سون، الذى روى جانباً من ذكريات هذه الرحله فى بعض مقالاته، وقد وصف جيروم قائلاً :*

«. . كأن جيروم ولد خاصة لهذه الرحلات النائيه، التي تتطلب بنياناً قوياً وفكراً حازماً. . يقف دائما دون كلل أو ملل . يقود القافلة بطريقة لا يمكن لاحد الإعتراض عليه، مع إشراقه كل صباح، كان يتولى الإشراف علي أدق الأمور، وتوزيع المهام، ثم يمضي ساعات طويله: يدخن . . يصيد . . يدون بعض ملاحظاته . . ويفتش بعيون الفنان والكاتب وعالم الآثار . وما يكاد يصل إلى

---

*Ackernan G.m:La vie et l'oeuver de Jean-leon Gerome, Paris,1987,P.86

المعسكر، حـتى يبدأ العمل ، ولا يحـول بينه وبين عمله . . مطر أو رياح ! ثم ينظف البـاليت وفرش الرسم . . ويالها من صحبة رائعة ، حول مائدة ، تحت خيمة!»

الرحلة الأولى إلى القاهرة

كتب جيروم في يوميات رحلته الاولي:

"رحيلى الى القاهرة. . إقامتى القصيرة فى القسطنطينيه فتحت شهيتى، كان الشرق هو حلمى الجميل، ربما ، كان أحد أجدادى من البوهيمين، لأننى أميل إلى الترحال ، ومولع بالتنقل. .

أرحل مع أصدقاء، أنا خامسهم ، الجميع لا يحملون الكثير من المال، ولكنهم يفيضون نشاطاً وحيويه. .

الحياه المادية فى مصر - فى تلك الفترة - قليلة التكاليف، ولم تكن قد وقعت فى براثن الغزو الاوروبى بعد . . نستأجر قارباً شرعياً، قضينا أربعة ايام على صفحة النيل. . نصطاد ونرسم. . فى ترحالنا من دمياط إلى فيله. .

نعود الى القاهرة نقضى أربعة شهور أخرى ، فى أحد منازل سليمان باشا المؤجر لنا، وبصفتنا فرنسيين ، فهو يستضيفنا فى ود وترحاب . . زمن الشباب السعيد والأمل والمستقبل أمامنا. . الكثير من اللوحات، سواء منها ما سيحظى بنجاح كبير أو ضئيل ، أو تحوز إعجاب الجمهور بدرجات متفاوته، سوف أنتهى منها بعد هذه الإقامة على شاطىء "أبو الأنهار".

تلك أول سلسلة من الرحلات النظامية للشرق الاوسط ، وبالأخص لمصر وآسيا الصغرى كان "إميل أوجيه" مؤلف المسرحيات الناجحة بصحبة جيروم ، و"أوجست بارتولدى" مبدع تمثال الحرية والذى حمل معه ما يحتاجه من مواد التصوير الفوتوغرافى، ورسامين هما : بابى ونارسيس بيرشير، ولا مراء أن جيروم قد إحتفظ بالصور الفوتوغرافية التى صورها بارتولدى لإستعماله الشخصى.

كتب "جوتييه" ، بعد زيارة إلى المرسم الجديد بشارع نوترد ام دى شامب:

" الفوتوغرافيا، التى تتقدم اليوم نحو الكمال الذى تعرفونه، تغنى الفنان عن نسخ الآثار بوسائله،

بدقة مطلقة، حيث أن حسن الاختيار لوجهة النظر والوقت المناسب، سيعطى للعمل قيمة كبيره"

لقد وجه - جيروم - أعماله الى تلك الناحية، فهو رسام تاريخ ، وموهبته اصقلتها الدراسه والخبره. . متأنق، ملتزم، مفعم بالإبداع ،والاحساس الخاص . . الذى ستزداد أهميته بالنسبة للفنان فى ذلك العصر، عصر التنقل العالمى السريع ، حيث أن كل شعب من شعوب هذا الكوكب معرض للزيارة ولو كان قابعاً فى بعض الجزر النائية !

أصبح التنقل أيسر وأسهل، والرحلة أكثرمتعه. . سواء للإستمتاع بعناصر طبيعية جديده ، أو مشاهدة أطلال الأقدمين. وللإستكشاف . . والبحث عن الغريب والمثير . . والنموذج الحلم . . موتيفات شرقيه تنتمى إلى زمان آخر ومكان آخر!

كتب جوتييه: * "كان جيروم لطيفاً، بتركنا نتصفح حافظته الفنية، وأن نشاهد رسوماته السريعة (الكروكى) التى رسمها بالقلم الرصاص ، ملاحظات سريعة، مسجلة من الحقيقة وجها لوجه، دون إستعداد ، ودون ترتيب، ،بدقة وعفوية أمينه، وتعبير ساحر، إن أقل ما إبدعه جيروم رسومات سريعة (كروكى) كانت واضحة ، وثابتة ، ومحدده وانتهت باهمالها. . »!

« . . لقد قام الفنان الرحاله بعمل العديد من الدراسات بالصور الشخصية فى منجم الرصاص وفقاً لنماذج متميزة : الفلاحين، والأعراب ، وزنوج مختلطى الدماء ، أناس لو وضعوا تحت ملاحظة جيدة ، لأمكن الاستفادة منهم فى الآبحاث عن أصل الإنسان أو علم الاجناس وتطورها وسمتها وتقاليدها فعلى سبيل المثال - ومازال الحديث لجوتييه: الجمل، درسه رحالتنا من جميع جوانبه، فى كل تصرفاته، وكل خطواته وكل مواقفه فى المشى أو الراحة ، وهو يجتر ، وهو يحلم ، وهو يلعق مشافرة أسنانه العارية. .

لن ننتهى من ذلك إذا أردنا أن نذكر تفصيلات لا نهائية، والمسجلة على هذه الأوراق المنفصله، ودراسة نخيل الدوم ، والسواقى التى ترتفع مع عجلتيها أوانى صغيرة مربوطة إلى بعضها كالمسبحة، ومقاهى ، ووكالات ، وأماكن للاستراحة ، وزوايا الإهرامات، وصورة جانبية لأبى الهول وفازات ذات خطوط ونقوش قديمة، وأبواب جوامع، كل ما تقدمه الصدفه للمسافر من جديد وغريب . . إلى عين خبيرة تعرف كيف تنتقى ، ويد متمرسه تعرف كيف تعبر وتبدع».

---

*CarreJ.M.:Ibid,P.182

ولقد أثرى جيروم ذاكرة الفن بزيارات أخرى إلى مصر فى السنوات ١٨٦٢ ، ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ . ١٨٧١ ، ١٨٧٤ ، وسنة ١٨٨٠ .

ويذكر فريديريك ماسون الذى إصطحبه مرة على الأقل، أن جيروم كان يعمل كل مساء وهو على المركب يرسم إسكتشات، ولا ينقطع عن الرسم حتى يحل المساء .

وتجدر الإشارة إلى أن جيروم قد شكل حماراً من الجص . . إستخدمه فى كثير من المناظر للشوارع، ولوحات تعرض المكاريين ، ومناظر الشوارع التى أبدعها كلها فى القاهرة. .

فى الشهور الأخيرة من حياة جيروم، غلبت الكآبة على لوحاته فكانت وكأنها مجرد ديكورات فى مسرح هجره الممثلون!

وشعر جيروم أن موضة الحكايات الحقيقية التى كان يعرفها قد ولت فكان يرسم دون إقتناع!

واستمر فى إنتاج صور النساء فى الحمام، حيث أن بيعها مضمون، وكان يحدث دئماً أن يكرر الموديل عدة مرات فى لوحة واحدة والوضع فقط هو الذى يختلف!

فمثلا يرسم الموديل فى أوضاع مختلفة، فتارة جالسة بجوار حوض السباحة، وتارة أخرى على مقعد منحوت - لوازم المرسم التى يستخدمها من عشرات السنين ٠

أوضاع غير مريحة دائماً، تذكرنا بأوضاع المرأة عند « ديجا». . وإن كان جيروم لم يحاول أن يضفى جمالاً أخاذا تفتقده موديلاته العاريات، أو إظهارهن ممتلئات سمينات، يتثنى لحمهن فى طيات تلهب المشاعر!

لمحات من رحلة جيروم سنة ١٨٦٨:

كان جيروم قد أعد نفسه لرحلة طويلة إلى مصر وآسـيا الصغرى، ولذا فقد طلب أجازه مفتوحة من مدرسة الـفنون الجميلة بباريس - التى كـان أستاذا بها - تـبدأ من اول يناير لسنة ١٨٦٨، وكلف صديقه " جوستاف بولانجيه" برعاية مرسمه لحين عودته.

. فى التاسع من يناير ١٨٦٨ ،غادر جيروم مارسيليـا متوجها إلى الاسكندرية ومنها إلى القاهرة ، وقد روى " لينوار" تفـاصيل زياراته المتعدده للجـوامع الأثريه مع جيروم، وسجل إنبـهاره بروعة العمارة

الإسلامية ، ألبـوماً يتضمن صوراً فوتوغرافـيه لكل أعماله٠* قضى جـيروم شهراً مأخـوذا بمعالم القاهرة الإسلاميه، ثم إصطحب رفاقه مرشداً وتـرجماناً، وتحت قيادته توجهوا إلى الجيزة ، فى ٢٠ فبـراير، على ظهور الحمـير، وأقامـوا معسـكراً لمدة ثلاثة أيام ، ثم توجهوا جنوبـاً حتى وصلوا إلى "قنوات يوسف" الاسطوريه المؤديه إلى واحات الفيـوم. إصطادوا عددا من الخنازير البريه، وطوال ترحالهم لم يتوقف جيـروم عن الرسم . وفى قرية سنورس (مركز بالفيوم) وجـه دعوه إلى فرقة من العوالم ليرفهـوا عنهم فى المعسكر، وقام لينوار وجيروم برسمهن وتصويرهـن فوتوغرافيا ، ثم واصلوا رحلتهم بعـد ذلك إلى مدينة الفيـوم، بعد أن تركوا أحد رفـاقهم بالطريق، فعاد إلى ضـفاف النيل حيث لم يتحمل شدة الحرارة، وعلى مسافة آكثر من مائة كيلو متر من القاهرة، إكتشفوا بعض المناطق التى يقطنهـا قليل من البدو، ثم وصلـوا إلى النيل عن طريق السكة الحديديةالحـديدية ، وفى مـواقف كثـيرة، كـانت العربـة التى يستـقلونهـا، تفصل عن القـاطرة وتتـوقف على الطريق بوسط الصحراء . . بينما السائق يذهب بالقاطرة لإحضار الوقود! . .

*Ackerman G.M.:Ibid,P.112

بعد عودتهم إلى الجيزة، إستقلوا القطار إلى السويس، ومنها واصلوا رحلتهم إلى جبال سيناء، وقد عكست هذه الرحلة خبرة جيروم، وإعجابه الشديد بالأعراب، ومعرفته بطرائق حياتهم٠ وتجدر الإشارة إلى أن جيروم لم يكن يكتب أكثر من فقرة واحدة فى اليوم، من مذكراته اليومية٠

أحاطت المهابة قافلتهم الجديدة٠ المكونة من عشرين رجلا، وسبعة وأربعين جملا، أحدها مخصص لحمل معدات ومواد التصوير الفوتوغرافى٠

بدأت المسيرة فى ٢٢مارس، بمحاذاة الضفة الشرقية لخليج السويس، وفى السادس من إبريل، وصلوا إلى دير سانت كاترين وجبل سيناء، بعد أن كابدوا كثيرا الأمطار والبرد القارس والعواصف الزملية٠٠ ضاعف جيروم من اسكتشاته، فكانت ساحرة فى كثير من الأحيان، وبعضها ساذج٠٠ وقال صديقه«جورنو أن جيروم كان يشعر بأن هذا آخر عبور له للصحراء، فرسم إحتياطى كبير كان كافيا لتغذية لوحاته لسنوات طويلة٠

قضوا أياما بدير سانت كاترين، كانوا يجهلون خلالها الكنوز التى اكتشفها«كورت ڤايتسمان»٠٠ ثم إرتقوا جبل سيناء، حيث قام جيروم برسم إسكتش لمعركة«علميك»٠٠ وواصلوا رحلتهم إلى خليج العقبة٠ ثم إلى مدينة «البتراء» حيث وقعوا فريسة لعصابة من قطاع الطرق، لمدة أربعة أيام، يفرضون عليهم أتاوة يومية باهظة على ما يحملون من مؤن،

ويزعجونهم أثناء جلساتهم للعمل والرسم أو التصوير الفوتوغرافى، ويطوفون حول خيامهم ليلا٠

كتب جيروم فى يومياته:*«عند الرحيل، كان قطاع الطرق يصحبوننا ويقودونا خلال طرق مخيفة حتى حدود أراضيهم، دائبون فى طلب النقود، حتى الترجمان كان مضطرا لمنحهم المزيد حتى أفلس٠٠ غير أن أحدهم لم يكن راضيا عما حصل عليه، فاعترض الطريق بحصانه، متكئا بإحدى ذراعيه على رمحه، والأخرى يلوح بـ« سبينغوك»ـ بندقية من طراز القرن السادس عشرـ لقد كان مشهده رائعا ولكن قتله كان سيطيب خاطرنا، ومبعث سرور عظيم لنا»٠٠!

ثم واصلوا الرحلة الشاقة إلى القدس، حيث تولى «بونات» قيادة القافلة التى واصلت السير إلى سوريا، بينما توجه جيروم إلى يافا، ليستقل مركبا عائدا إلى مارسيليا٠

---

*Ackerman G.M.:Ibid,P.115

أوجين فرومنتان

(١٨٢٠- ١٨٧٦)

كان للأديب والفنان«فرومنتان» دورا بارزا فى حركة الاستشراق الفنى فى منتصف القرن التاسع عشر، وتفرد بنظرة جمالية، جمعت بين الروما نسية والفكر الواقعى٠

تأثر فرومنتان بالمناخ الثقافى والفنى الذى كان يسود باريس فى ذلك العصر، وتغيرت معالم شخصيته تماما، عندما أدرك عدم جدوى دراسته، وقد أنهى دراسة الحقوق بجامعة باريس عام ١٨٤٣، فبدأ يعيد تكوينه الثقافى من جديد، بحضور محاضرات أعلام الفكر: أوجاركينيه، ميشليه، سانت بوف وغيرهم، وبدأ الدراسة الأكاديمية لفن التصوير فى أتيليه الفنان ريمون، ثم فى متحف الفنان لويس كابيه، وتوطدت صداقته بالفنان المستشرق شارل لابيه٠

وتلبية لدعوة الفنان لابيه، قام فرومنتان بزيارة الجزائر سرا عام١٨٤٥ * حيث كانت أسرة لابيه مستقرة بمدينة«البليدة» وكانت عائلة فرومنتان تعارض اتجاهه للفن، فسافر دون علمهم، واستمرت الرحلة لمدة شهر، أثمرت حصيلة ابداعيه هائلة، وكتب لوالده رسالة، أوجز فيها انطباعاته الدافقة:«٠٠ قد أكون مخطئا، غير أن رحلتى هذه، وتوجه أفكارى الجديدة، وذلك الدرس الرائع الذى تعلمته فى بلاد الضوء الساطع، والألوان الصاخبة، والأشكال الغريبة، يعد تقدما فى عملى، سيغدو ملحوظا يوما بعد يوم، وكل هذه المعطيات، تمنحنى زخما جديدا، وتكسبنى حماسة وقوة جديدتين»٠

فى صالون باريس ١٨٤٧، عرض لفرومنتان ثلاث لوحات، تعرض مشاهد جزائرية، قدمته بنجاح إلى الجمهور الفرنسى٠٠

لقد بلورت أرض الجزائر العملية الإبداعية والروحية لهذا الفنان، ودفعته إلى معايشة الحالة الروحية للشرق، وتسجيل كل مظاهر السلوك والعادات والتقاليد، والطقوس الدينية، والحكمة، وحب الأرض وعشق الطبيعة، ووصف حياة القبائل العربية ، فى كتابيه:«صيف فى الجزائر» و«سنة فى

---

*Fromantin E.:Une ete dans le Sahara,Paris,1857,P.28

الساحل»·· وقد أشار فى هذين الكتابين، إلى سعيه الدائب لاكساب الصورة الشرقية: نبل وقدسية الكتاب المقدس وعظمة العصور القديمة، فعلى سبيل المثال، كان يقارن دائما بين نساء الجزائر وصورة«راحيل فى الكتاب المقدس» ويقارن الراقصة العربية بالليدى ماكبث !

كان فرومنتان دائم الإشادة بعالم الشرق، وبعظمة شعوبه التى استطاعت الحفاظ على جمال الحياة والعادات والتقاليد الموروثة، وتميزت ابداعات هذا الفنان، برهافة الحس، والمعرفة الدقيقة للعنصر الإنسانى وللطبيعة ومتغيراتها، وملاحظة أثر المناخ على السلوك ونمط الحياة خاصة فى الصحراء، وقد سعى إلى تخليد مناظر الطبيعة الجزائرية، كما خلد ماريلا الطبيعة المصرية··

وبدعوة من الخديو إسماعيل، شارك فرومنتان فى احتفالات إفتتاح قناة السويس عام١٨٦٩.*

وقدم صورة صادقة متعددة الألوان عن مصر وكان فى أعماقه شاعرا، أكثر منه مصورا·· حتى أنه عندما رحل إلى مصر لم يكن معه أدوات للرسم، وأنما إصطحب معه مفكرة لرصد انطباعاته والتى كانت وبحق أبدع مذكرات سجلها فنان النوبيات·· ومن أشهر لوحاته المصرية «لصوص الخيل فى الصحراء» و«الغروب على شاطئ النيل»و«النوبات على شاطئ النيل»··التى أبرزت قدرته الخارقة على التلاعب بالدرجات اللونية، وهذه المقدرة الفنية أتاحت له وصف أدق الفروق اللونية التى تطرأ على مياة النيل، فهى تارة فى لون الوحل، عسلية اللون رمادية، فضية مخضرة أو زرقاء قاتمة··

وتدل ابداعات فرومنتان على عمق ثقافته وسعة اطلاعه ونزوع إلى الابتكار والتميز، وكان يعشق العزلة ليعيش« خارج الزمان والمكان»··!

ووصف نفسه بأنه:* «ليس رحاله يصوركل ما تقع عليه عيناه، بل هو فنان يرتحل وراء ماينبغى تصويره، محاولا التمييز بين الجميل والغريب»··

---

*Thompson J.et Wrigt B.:lavie et L'oeuvre D'Eugene Fromentin,Paris P.254
*Thompson J. et Wrigt B.:Ibid:P.257

كارل هاج

(١٨٢٠-١٩١٥)

«الفنان العبقرى، كارل هاج، بإختصار شديد هو واحد منا ونحن فخورين به»٠٠ كان هذا تعبير الناقد ــ فيبر چاكسون ــ فى العدد الخاص من«مجلة الفن» البريطانية لعام١٨٨٣، وفى هذا المقال، يضم هاج إلى مدرسة التصوير الاستشراقى البريطانى، بالرغم من مولده فى «بافير» وتكوينه الفرنسى !

أجمع النقاد على أستاذية هاج فى فن الرسم بألوان الماء، حصل على الجنسية البريطانية، وكان صديقا للعائلة الملكية٠

كان كارل هاج سعيد الحظ فى طفولته، فوالده كان رساما هاويا، فإتجهت ميوله إلى عشق الفن، ومن هذا المنطلق، إستقر رأى العائلة على صقل موهبته بالدراسة، فتابع محاضرات المدرسة الهندسية بمدينة نورمبرج، حيث إختار الرسم وبعض المواد التى تتناسب مع ميوله الفنية٠ وبعد بضعة سنوات إلتحق بأكاديمية الفنون، حتى أصبح طالبا لامعا، مما دفع مدير الأكاديمية «البير رانيدال» إلى تشجيعه بإستمرار وحثه على إكمال دراسته فى ميونيخ، وعرض عليه أن يمنحه بعثة دراسية، لكن هاج رفض هذا العرض، مفضلا أن يكمل مشواره الفنى بطريقته الخاصة!*

إتجه هاج إلى رسم البورتريهات الصغيرة بألوان الماء، وقام بتنفيذ البعض منها لأصدقائه، ومن الواضح أن هاج تمتع بذاكرة لها القدرة على إختزان أدق التفاصيل، ساعدته على أن يجعل موضوعاته صورا تطابق الأصل إلى أبعد الحدود، ثم تتلمذ على يد«كورنيليوس» بأكاديمية باڤاريا الملكية، الذى حاول أن يوجهه إلى التصوير التاريخى والذى ينبغى أن يكون هدفا لجميع الفنانين ــ حسبما يعتقد ــ كما تأثر هاج بتصوير الطبيعة فى ابداعات« كارل روتمان» رسام القصر٠٠

---

*Ackerman G.M:Ibid,P138

ويمضى نحو عامين، ونجاحه المذهل كرسام بورتريهات، يصبح عبئا ثقيلا عليه، بعد أن إنهمرت عليه الطلبات، فقرر الرحيل، وقضى شتاءاً فى بلجيكا، بصحبة البارون فيبيرز ولويس جاللى، وفى عام ١٨٤٧ يعبر المانش، فى الموعد المحدد لإفتتاح معرض الربيع للرسم بالألوان المائية، وقرر البقاء فى إنجلترا، مبهورا بالفن الإنجليزى، وإلتحق بالأكاديمية الملكية، وموهبته الفذة كانت مصدر مشاكل لأساتذته٠٠ ! * قام هاج بمساعدة كيميائي بعمل عدة تجارب على أصباغ ألوان الماء، وعرضها لتأثيرات الشمس والأحوال الجوية المختلفة، إنتهت إلى إبتكار تركيبه ألوان تتميز بالمقاومة، وجوهرها الأصباغ المعدنية الصافية، دون إستخدام ألوان الخلفية أو اللون الأبيض الكثيف، متوصلا فى النهاية إلى تقنية سليمة لألوان الماء٠

فى عام ١٨٤٨، كاد أن يواجه حادثا مأساويا، عندما انفجرت قنبلة صغيرة فى يده اليمنى، وبعد إجراء عدة عمليات جراحية ناجحة ومع العناية الفائقة، تمكن مرة أخرى من إستعمال يده، التى كانت شبه مفصولة من الرسغ٠٠ وأثناء فترة النقاهه، واصل جهوده من أجل الحصول على درجات ألوان أكثر ثباتا، وبعد أن تم شفائه، أصبح عضوا بجمعية الرسم بالألوان المائية٠ *

نحو عام١٨٥٠، قام هاج برحلة إلى «دالماسيا» و«مونت نيجرو» وخلال إقامه الصيفية فى «تيرول» عام ١٨٥٢ قابل أمير«لاينتجين»ودوق «ساكس كربورج وجوثا» وحدث تقارب ومودة بين الدوق وهاج، إلى أن أصبح رساما فى قصر الدوق، وفيما بعد تفتح له أبواب القصر الملكى البريطانى. عندما قدمه الأمير إلى الملكة أخته غير الشقيقة٠

وفى خريف ١٨٥٣، يتلقى هاج دعوة لتصوير مناظر موسم الصيد فى پالمورال، يعقبها دعوة إلى وندسور فى الشتاء التالى٠ كان إنتاج هاج غزيرا، وأقام عدة معارض بجمعية الرسم بألوان الماء، تضمنت مشاهد من الطبيعة، فى اليونان ودالماسيا وتيرول وپالمورال٠

في عام١٨٥٨، قام هاج برحلة إلى القاهرة وسيناء، والقدس ، كان نتاجها حصيلة هائلة من المعلومات، عن تفاصيل الحياة اليومية وفن الحرب، والزواج والجنازات، وتقاليد البدو وتعليم أبنائهم، والطريقة المتبعة فى تربية الجمال والماعز، حتى يسوقونها إلى سوق المدينة لبيعها، وما يحصلون عليه بالمقايضة، وكيفية نسج أثوابهم وفرشهم، وصناعة الرماح والسيوف وكيفية

---

*Ackerman G.M:Ibid,P.140
*,,　　,, :Ibid, P.141

إستعمالها٠٠

فى عام١٨٦٠، عاد إلى لندن، حاملا معه عددا كبيرا من الاسكتشات وملابس شرقية وبعض الأثاث٠

ومعظم اللوحات التى عرضها بجمعية الرسم بألوان الماء، كانت عن الحياة فى الصحراء، ومشاهد من شوارع القاهرة، ومناظر من القدس، منها لوحتين بناء على طلب خاص من الملكة٠

فى عام١٨٦٦، تزوج هاج، وإشترى دارا فى هامبستيد، ونفذ ديكورات الطابق العلوى على«الطريقة المصرية» مستخدما الأرابيسك والطنافس وبعض الأثاثات الشرقية التى جلبها معه فى رحلاته٠٠

وكان يستقبل أصدقائه وزبائنه فى مرسمه الفخم، والذى ضم ركن للإستقبال، وأنترية مصرى من الأرابيسك المنقوش والمطعم بالأصداف، كذلك كانت الغرف الأخرى وديكوراتها على الطراز الشرقى، مما جعلها مناسبة لكادرات إبداعاته٠٠

فى عام١٨٧٣، عاد إلى مصر لينعش ذاكرته، حاملا معه رسالة توصية من أمير الغال إلى الخديو إسماعيل الذى إستقبله٠٠٠

فى بعض الأحيان، كان هاج يبدع بعض المناظر ذات المضمون«الدارمى» مثل٠٠«خطر فى الصحراء» ١٨٧٣، كما تناول بعض الموضوعات المتواضعة نسبيا، فى تكوينات فنية ذات مستوى رفيع٠٠

وتميز هاج بتصوير الملابس الشرقية المبرقشة٠٠ ودرجات ألوان ضوء الشفق على رمال الصحراء٠٠

فى عام١٨٧٤، حصل هاج على صرح قديم على نهرالراين، أقامت به والدته وأعتبره مقرا صيفيا له، ثم إستقرفيه نهائيا عام١٩٠٣، وبه وافته المنية٠

فردريك جودول

(١٨٢٢ - ١٩٠٤)

كان هذا الفنان الشهير، نموذجا متألقا لرسام لم يتبع منهجا أكاديميا، وقد ذاع صيته بين الطبقة الارستقراطية وفى الأوساط الفنية والأدبية، والعلمية ، وصفه أحد النقاد بجريدة الفن البريطانية بأنه«يعيش تحت شمس دائمة» !

تربى فنيا على يد والده الحفار«ادوارد جودول» حيث ترك المدرسة فى سن مبكرة، وفرض عليه والده منهاجا قاسيا لتعلم الحفر، كما أصبح على دراية بعلم التشريح، بعد أن اشترى له والده هيكلا عظميا، ولكنه قرر أن يصبح فنانا وليس حفارا!٠٠ وكان يذهب إلى حديقة الحيوانات، ليرسم ماشاء من طيور وحيوانات وهى تتحرك٠٠

وقد ظل فردريك يفخر بأنه لم يتلق أى قدر من التعليم، سوى ماتلقاه عن والده٠٠ ونال أخواه:ادوارد، وولترحظا من الشهرة فى الأوساط الفنية، فى الرابعة عشرة من عمرة، نال فردريك جائزة جمعية الفنون البريطانية عن رسم لتصميم معمارى٠

ذات يوم، كان يراقب عملية إنشاء نفق تحت نهر التيمس، فكان شاهدا على حادث مؤلم، ألهمه لوحة بعنوان«العثور على جثة عامل فى ضوء المشاعل» حصل بها على الميدالية الفضية فى معرض جمعية الفنون لعام١٨٣٨٠ *

فى نفس العام، توجه مع والده إلى مقاطعة«الروين» وظل يرسم طوال المسافة التى قطعها فى نهر السين، متجهين نحو الهافر، واللوحات التى انجزها فى هذه الرحلة، لاقت رواجا، وعرضت إحدها فى الأكاديمية الملكية وعلقت عليها جريدة الفن٠

مضت عدة سنوات، وعاد إلى بريطانيا، بحثا عن موضوعات جديدة، ثم زار بلاد الغال وايرلندا التى ألهمته«رحيل المهاجرين»٠

*Thornton l.:Ibid, P.155

فى عام١٨٥٢، أنتخب عضوا بالأكاديمية الملكية، وشمله أنصار الفنون والعلوم برعاياتهم، خاصة: سير ويلز دى ريدليف، والمركيزة دى نسداون وارتبط بصداقة شارلز ديكنز، ودانيل ماكليز والممثل ويليام ماكريدى وبعض النقاد والفنانين٠

ومع بداية عام١٨٥٨، بدأ جودول يشعر بالقلق، وقد إستغرقته لوحات المشاهد الشعبية والبورتريهات، وهو الذى يطمح إلى تصوير أحداث ومواقف من التاريخ فى كوادر مناسبة٠

وقام برحلته إلى مصر، وهو يفكر فى هذه الحالة «ان هدفى الوحيد تصوير موضوعات من التاريخ المقدس»٠*

داڤيد روبرتس، الفنان والصديق المقرب لجودول، زوده برسائل توصية قبيل رحيله إلى القاهرة، وقال له أنه فعل نفس الشئ مع الفنان ريتشارد داد سئ الحظ !

مكث جودول نحو سبعة شهور فى مصر(١٨٥٨-١٨٥٩) برفقة السير لويس بيللى، الذى كان بالغ الأعجاب والإيمان بعبقرية جودول، وقال:«اننا خلال نزهة واحدة - على ظهور الحمير- بشوارع الاسكندرية، رأينا بأكثر مما نطمح من مشاهد وموضوعات لحياة كاملة»٠٠ وتأثر جودول بمشهد مدرسة الأطفال ــ الكتاب ــ حيث يجلس «صغار الاتراك القرفصاء على الأرض، يتحلقون حول مدرسهم المعمم، الجالس متربعا يلقنهم القرآن، والتلاميذ يرددون من بعده آية آية»٠

كذلك وصف فى مذكراته« الأسبله الرائعة التى يتزاحم حولها جماعات من الناس، مشهد شديد الجاذبية» وحدثنا عن نساء مصر، فقال:«ليست كل النساء محجبات، وهن يملأن جراتهن ويحملنها على أكتافهن أو رؤوسهن٠٠٠٠ تذكرت حينئذ ما قرأته عن جمال نساء مصر القديمة٠٠ السقاءون يحملون قربا من الجلد والجمال أيضا تحمل مثلهم٠٠ كل هؤلاء يشكلون مجموعات فى مشاهد لم أكن أحلم بها أبدا» !

«يلزمنى وقت طويل حتي أشرع فى العمل، للآن لم أستطع أن أتماسك من الدهشة لهذه المناظر٠٠ أود أن أصرخ من فرط الإنبهار:ماهذه الروعة٠٠وهذا الجمال٠٠ يالها من ملابس٠٠ ويالهم من أناس٠٠ مشاهد جديرة أن ترسم٠٠ لم أهتم كثيرا بما قد يعتقده الترجمان، اننى أصابنى مس من الجنون» !!

---

*Thornton L.:Ibid,P.159

«٠٠ كل ما فى الأمر، أننى ذهلت لكل هذه المشاهد الجديدة٠٠ المثيرة، لقد وجدت نفسى على أرض بكر٠٠ متحررا من كل القيود»وقد يشاركنى القارئ الرأى، أن دهشة جودول الصادقة، وحماسة البرئ، لايمكن أبدا أن يكون كاذبا، فانطباعاته عفوية، لاتحتوى أى أثر للضجر أو الفتور٠٠٠

وعن رحلته إلى القاهرة، يقول:«٠٠ ركبت القطار المتجه إلى القاهرة، والذى وصل فى موعده، حاولت أن أقوم بعملية مسح لهذه المدينة العجيبة،٠٠ ومن القلعة، شاهدت أروع بانوراما للقاهرة٠٠ أجمل المشاهد التى يمكن أن أتخيلها، تتراءى أمام عينى بسرعة لاتصدق، وتنوع لانهائى٠٠ أحاول أن أختزن كل انطباعاتى، وأن أثبت هذه المناظر فى ذاكرتى، والتى لا أستطيع التعبيرعنها إلا فى دفترى، وعمل اسكتشات سريعة لها»

«٠٠استغرقت أسبوعين فى البحث عن منزل أستقر فيه، وقد عثرت على ترجمان، وفر لى قدرا هائلا من الخدمات والحماية، وفئة الترجمانات هذه، يقومون بعمل كل شئ لمستخدميهم، مثل تأجير مسكن وشراء المؤنة اللازمة وحتى عملية طهوالطعام٠٠ وهم فى سلوكهم ملتزمون ومتحفظون، لأنهم فى نهاية خدمتهم، فى حاجة إلى شهادة من مستخدمهم، تمكنهم من الإلتحاق بخدمة آخر»٠

ومن المرجح أن هذا الترجمان، قد ساعد جودول فى أن يتعلم قدرا من الكلمات العربية، وأن يلم بشئ من آداب وتقاليد الشعب المصرى خلال زيارته تلك، والمنزل الذى إستأجره، كان بالحى القبطى، بالقرب من حديقة الأزبكية، وهذه المنطقة المفعمة بالحياة، وفرت ثروة من المشاهد التى فتن بها جودول٠٠نساء متشحات باللون الأزرق أو الأسود، من رؤوسهن حتي أعقابهن، خانات ووكالات مزدحمة، أسواق صاخبة، مواكب أعراس بلا نهاية٠٠ وقد تصادف أن إلتقى صديقه الفنان كارل هاج:«٠٠خرجت ذات يوم قبل تناول طعام الأفطار كالمعتاد٠٠ آه٠٠ من أرى؟ صديقى كارل هاج٠٠ لقد أبدى سرورا عظيما، عندما رأى سكان الحى الذى أقطن فيه، وطلبت منه أن يشاركنى الإقامة فى مسكنى٠٠ وكنا كل صباح: نقوم بنزهة خلال شوارع القاهرة، على ظهور الجياد، فنستمتع بصفاء السماء وروعة الجو وطبيعة تشع بالنضارة، كما قمنا بجولتين خارج القاهرة٠٠ صديقى كارل هاج دائم الحديث عن الرحيل إلى القدس٠

لقد أبدع جودول، وهو الذى عايش روح الشرق، فخلد لنا مشاهد من الحياة المصرية الشرقية، برؤية جمالية، فيها مزيج من الرومانسية والواقعية٠

لويجي ماير

(روما ١٧٥٥ - لندن ١٨٠٣)

تنحدر عـائلة ماير من أصل جيـرماني، وأقدم مـرجع لحياة هذا الفنان، عـثرعليه بمكتـبة«ديكريتى» بأكاديمـية SANLUCA، ويسجل هذا الكتاب، أن الرسام لويجى مـاير «الرومانى» قد حصل على جائزة إحدى مسابقات الرسم التى نظمت فى عام ١٧٧١٠

صحب ماير فى عام ١٧٧٦، الدبلوماسى البريطانى: سـير روبرت اينسلى، إلى مدينة القسطنطينية، الذى يتولى منصب القنصل البريطانى العام فى سنة ١٧٩٤٠ وكان السير اينسلى على درجة رفيعة من الذكاء والثقافة والاستنارة ومن هواة جمع الآثار، فاسـتخدم ماير كرسام وناسخ، وشجعه على القيام بعدة رحلات، يجوب خلالها ربوع الإمبراطورية العثمانية، أثمرت حصيلة ضخمة من اللوحات بالألوان المائية٠ *

زار الفنان مـاير، بلاد اليونان، والبلقـان، وآسيا الصـغرى، وسـوريا وفلسطين، ومصـر، وأفريقـيا الشمالية. وقد أبدع فى تصوير شواهد الحضارات القديمة، وأبرز المعالم، ومشاهد من البيئة الطبيعية والبحرية، ومن الحياة اليومية، وجسد حيوية الشرقيين: عرب، أتراك، شوام، بدو٠٠

وقد طبعت مجمـوعات ماير، طباعة حجرية، فى لندن فيـما بين عامى ١٨٠١و ١٨١٠، وعقب وفاته، واصلت زوجة «كـلارا» متابعة النـشر، وفى عام ١٨٠٩، عرض السـير اينسلى مجـموعته الخـاصة للبيع عدد كـبير من لوحات ماير، تتـصدر مجموعـة«سيرايث دى فيكتوريا» ومـتحف«البرت» بلندن وكتب الفن الاستشراقى، ومـؤلفات«جوليو فيراريو» عن العادات والتقـاليد المتوارثة والأزياء القديمة والحديثة لشعـوب الشرق، والتى نشرت مابين عام ١٨١٦ وعام ١٨٣٢، كـذلك كتابه الذى صدر فى ميـلانو سنة ١٨٣١ بعنوان:«وصـف فلسطين فى قـصص الاناجيـل» الذى حاول فـيه:ربط الحقـائق العلمية بالملاحظات التصويرية٠

---

*Luigi Mayer: Views in Egypt, London,1804

واللوحات الاستشراقية لمايركانت تستحوذ على إهتمام علماء الآثار، وقد تزامن نشرها مع حملة نابوليون، ونهب وتهريب كنوز الفراعنة إلى أوروبا٠

رافق ماير صديقة السير اينسلى إلى انجلترا، عقب إنتهاء مهمته فى القسطنطينية، واذا لم يكن ماير الفنان الوحيد الذى إرتحل وأبدع فى الامبراطورية العثمانية — فى نهاية القرن الثامن عشر — فهو بلا شك، أغزرهم إنتاجا وأعماله أكثر جاذبية وشهرة٠

جيوسيبي انجيليلي

(١٨٠٣-١٨٤٦)

درس انچيليلى بأكاديمية الفنون الجميلة فى فلورنسا، قبل أن ينضم إلى«البعثة الفرنسية التوسكانية »الشهيرةعام ١٨٢٨، والتى ضمت العبقرى«شامبوليون»٠٠

وبحكم عمله كرسام، لعالم المصريات الفلورنسى«ايبوليتو روسيلليني» فقد أنجز ألف وأربعمائة لوحة، خلال ركوبهم النيل، صاعدين إلى النوبة، صور فيها كثيرا من شواهد حضارة مصر الفرعونية، وقام بحفر أربعمائة عمل من إبداعاته، ضمها كتاب روسيلليني:«آثار مصر والنوبة»الذى نشر فيما بين عامى ١٨٣٢و ١٨٤٤ فى ثلاثة أجزاء٠

ولوحته الشهيرة النادرة، التى تمثل مجموعة الرحلة«البعثة الفرنسية التوسكانية الأدبية*» بين أطلال طيبة، وتشغل حاليا الدرج الكبير لمتحف الآثار بفلورنسا، وتجمع بين الكلاسيكية الجديدة والمذهب الطبيعى، وتعكس رغبة انجيليلى فى تخليد هذه الرحلة، والمشاركين فيها ومهمتهم العلمية٠

يتوسط هذه اللوحة، عالم المصريات العبقرى«ج٠ف٠ شامبوليون»قائدا للمجموعة، ومن خلفه، روسيلينى وأخيه المهندس المعمارى«جيتانو»وشيخ مصرى ظهره نحو المشاهد، بينما الرسام الفرنسى«الكسندرديشيزن» مسترخيا فى أقصى اليسار، لوحة صغيرة وصندوق الألوان المائية بجانبه أما أفراد البعثة الثمانية الآخرون فهم: لورو، بيرتان، الطبيب ريتشى سلڤادورى شيريبينى، بيبينت، نيستور لاهرت، جيوسيبى داوى، وانجيليلى الرزين٠٠ وفى وسط المقدمة: بعض الكنوز الأثرية التى عثر عليها خلال عمليات التنقيب التى قامت بها البعثة، واللون الوردى ينشر اشراقاته على الصحراء، وأشجار النخيل تمتد حتى الأفق، فيما وراء معابد طيبة٠

وقد شاهد العالم الألمانى«ريتشارد ليبسيوس» هذه اللوحة بعد إنجازها فى الأتيلية الفلورنسى لانجيليلى عام١٨٣٦، والتى بلغ مقاسها:٣٠ر٢× ٤٧ر٣ أما اللوحات التحضيرية التى أعدها

---

*Ackerman G.M.:Les orientalistes de l'Ecole Italienne, Paris,1988,P.19

انجـيليللى لأبحـاث روسـيلينى، فقـد وصلت إلى عـدد من هواة المجـمـوعات فى فلـورنسا، وكـان روسيلينى قد خصص فصلا من كتابه شرح فيه منهج العمل الذى إتبعه انجيليللى، والاسلوب الفنى المتمـيز لهذا الفنان ، كمـا تحدث عن الألوان التى إستـخدمهـا المصريون القدماء، فى نقـوش جدران المقابر والمعابد.

جيمس تيسو

(نانت ١٨٣٦ـ بيلون ١٩٠٢)

بالرغم من أن تيسو قد ولد ودفن فى فرنسا، إلا أنه كان محبا للبريطانيين ومتحيزا لهم مدى حياته·

عقب حصار باريس عام١٨٧١، كان تيسو لاجئا فى إنجلترا، وقد بدأ بتقليد التراث الفولكلورى للمدرسة البريطانية، حتى برع فى هذا الفن، ثم أبدع مجموعتين من الصور المستوحاه من قصص«العهد القديم» فكانت هذه«المشاهد التوراتية لتيسو» احدى العلامات البارزة فى الفن الاستشراقى البريطانى حتى أطلق عليها «توراة تيسو»!*

نشأ تيسو فى عائلة موسرة، حرصت منذ البداية أن ينال تعليما راقيا لكنه عندما بلغ العشرين من عمره، أصبح طالبا بمدرسة الفنون الجميلة بباريس ويمارس نشاطه الفنى ــ فى الوقت ذاته ــ فى أتيليه هيبوليت فلاندرين ولويس لاموث·

التقى مع «ويستلر» بمتحف اللوفر، حيث كان كلاهما ينسخان إبداعات «انجر» ، وعن طريق ويستلر، كان يلتقى بمجموعة الفنانين الانجلو ــ أميركان بالعاصمة الفرنسية، وربما بدافع من اعجابه بهذه المجموعة تسمى باسم انجليزى «جيمس» !

وتوطدت أواصر الصداقة بين تيسو وعدد كبير من الفنانين، منهم:ديجا (الذى رسم له صورة شخصية) والفريد ستيفنس البلجيكى ، مانيه، كوربيه، لوجرو ميرسون، وجيروم ··

خلال تلك المرحلة، وخارج هذه الدائرة كانت لوحاته الأولى تخضع لتأثيرات الأسلوب التفصيلى الممل للبارون«لايس» المتخصص فى مناظرالعصور الوسطى، التى كانت موضع اعجاب تيسو··

واللوحات التى عرضت لتيسو فى الصالونات البارسية، كانت تمثل مشاهدا من روايتى«فاوست»و«مارجريت»·· متبعا نصائح جيروم بأن يتجه لرسم البورتريهات والمشاهد

---

*Thornton : Ibid,P.205

القصصية الأكثر حيوية٠

ولمع نجم تيســو فى فن البورتريه، إلى أن إندلعت الحرب الفـرنسية الروسيـة، ومكث بباريس طوال فتـرة الحصار، وانخـرط فى صفوف الحرس الـوطنى، ولم يعد إلى لندن، إلا بعد أن رفع الحـصار، ويبدو أنه لم يزاول أى نشــاط سياسى ســواء ملكى أو ثورى، طالما أنه كان يســتطيع أن يتردد على باريس بكل حرية ودون أن يخشى الإعتقال !

فى عام ١٨٧٣، كـان تيســو قد بدأ يشارك فى بعض مـجالات الحـياة الاجتـماعيـة فى لندن، وعلى الصعيد الفنى، بدأت لوحاته التى تمثل مشاهدا شعـبية من التراث الانجليزى فى الظهور، وقد منحها طابعا فرنسيا أضفى عليها قيمة خاصة٠

فى تلك الفـترة، حقـقت بعض هذه اللوحـات شهرة، مـنها(Too Early) ١٨٧٣ و(Hush) ١٨٧٥ و(The Letter) ١٨٧٦، التى تمثلت فيهابراعـته المتميزة فى استخـدام التداخل بين اللون والضوء، ورؤية تمزج الشاعرية والواقعيـة، تؤكد أن للفن عالمه الخاص واستقلاليتـه عما يدور من جدل حول الدين والاخلاق والفلسفة والسياسة٠٠ !

داڤيد ويلكى

(١٧٨٥-١٨٤١)

لم يحظ هذا الفنان البريطانى، بالتقدير والإهتمام الكافى من معاصريه وادرجت أعماله فى مرتبة أقل من التصوير الشعبى٠٠ وإذا أدرنا ظهورنا قليلا عن أعظم لحظات التاريخ، لنتفرغ لبعض مشاهد من الحياة اليومية، نجد أن ويلكى قد مهد الطريق لأجيال من فنانى التصوير الشعبى البريطانى، الذين قلدوا أسلوبه٠

موهبة ويكلى وعبقريته، لم تصقلها الدراسة والإعداد الجيد ٠ والده كان راعيا بمقاطعة «فيفشير» ألحقه بمدرسة إبتدائية محلية، رحل إلى «ايديمبرج» فى الرابعة عشرة من عمرة، حيث سجل نفسه بأكاديمية «تريستيز» التى تأسست بهدف إعداد رسامين صناعيين غير أن أستاذه«جون جراهام» وجهه نحو الإبداع الفنى، وفقا لمناهج الأكاديمية الملكية البريطانية، مع بعض الإستثناءات، لأن «اسكتلندا المتحفظة لم تكن تسمح برسم العرايا» !

حاول ويلكى أن يتغلب على هذه العقبة، برسم بورتريهات لوجوه فى إنفعالات متنوعة، وكان يرسم نفسه أمام المرآه، فى أوضاع مختلفة ، كأنما أراد أن يقتدى بالفنان العظيم «رمبرانت» الذى إتبع هذا الأسلوب! أتقن ويلكى فنون الحفر أيضا، وعندما عاد إلى كالتز، بدأ فى إعداد مجموعة من المشاهد الشعبية، بأسلوب «تينيير» الصغير، ونال شهرته بعد عرض مناظر من حياة القرويات، وباع لوحته«جمال بتليسى» بمبلغ ٢٥ جنيها استرلينيا، فى عام ١٨٠٤، وتوجه إلى لندن بهذه «الثروة»المحدودة !

مجموعته التى عرضت فى لندن، وضعته فى مصاف «تينيير» الذى يقارن به دائما، غير أن بعض النقاد شهدوا له بالتفوق على قدوته، بتنوع المشاهد وعمق وحرارة المشاعر٠٠

فى عام ١٨٢٠، نال شرفاً ملكياً، عندما إختاره "جورج الرابع" ليكون رسام القصر الملكى فى

اسكتلندا.

موضوعـاته الجاده التى إستلهـمها من قصص الكتـاب المقدس، لم تلق نجاحا كـالذى حققتـه لوحه "مشهد من قريه» التى رسمها فى كالتز مستخدماً موديلات غير محترفات.

كان ويلكى يرفض دائمـا هذا النوع من الموديلات، وحركاتهم الآليـه المحفوظه، حـتى فى لندن ، كان يحصل على بغـيته من الطريق ويبدأ موضـوعاته دائماً ، برسم الاشخـاص أولاً، على قماش أبيض، وبعد أن ينتهى منها تماماً يعود إلى خلفية الموضوع. .

قضى ويلكى حـين من الدهر فى اسكتلندا، مساهمـاً فى حركة التجـديد القومى، فى مستـهل القرن التاسع عشر، التى ساعدت على إزكائها روايات سير والتر سكوت .

أظهـرت بعض إبداعات ويلكى، تأثيـرات المشاعـر العاطفـيه ، بشـكل يكاد أن ينطق . . واصل ويلكى نجاحه كـمصور مجـدد، وقام بعدة زيارات لمتحف اللوفـر، وأعجب إعجاباً شديداً بـأعمال "روبنز" وحرية فرشاته.

فى عام ١٨٢٥ تدهورت صحته، وزاد الأمر سوءاً، سلسلة من الوفيـات العائلية. . فقرر القيام بجوله فى ربوع أوروبا.

توجه أولاً إلى إيطاليا ، ليـتمتع برؤية إبداعات فنانى عصـرالنهضة، إتجاهه للواقعيـه، جعله لم يتأثر بتجديدات الفنانين الألمان فى الموضوعات الدينيه بالاضافة إلى التعاليم البروتستانتيه التى يدين لها، كانت ترفض التعبيه للأساليب الكاثوليكيه!

ثم رحل إلى أسبـانيا، وفى ذلك العصر، لم تكن الرحله إلـيها بالأمر اليسـير ، وانبهر وتأثـر بأعمال العباقره: ميـريللو وفالاسكويز. . ولاحظ أن إسبانيا بلاد مجهولة لكثيـر من معاصريه من الفنانين، وأثنى كثيراً على جمال طبيعتـها وسحرها الأخاذ، مما شجع كل من دافيد روبرتس وفردريك لويس على زيارتها . . الأفكار الجـديده دائما تلح على ذهن ويلكى ، لكنه لم يذهب لزيارة المغرب كـما فعل روبرتس ولويس. فى طريق عودته، توقف فى باريس للقاء الفنان العظيم "ديلاكروا" وعرض عليه لوحاته التى أنجزها فى إسبانيا، وفى رساله إلى أحد أصدقائه ، سرد ديلاكروا تفاصيل هذه الزيارة ، معبراً عن رأيه: " إنـنى فى غاية الدهشة ، بعد رؤية هذه الصور، وانى لأتساءل كـيف لفنان يتمتع بهذه العبقريه، وبقدر كبير من الإحـترام الجدير به ، أن يتأثر إلى هذه الدرجة، بأعمال تختلف تماماً، عن اسلوبه الخاص "!

بعـد إستقـراره فى لندن، وضـح فى أعـماله الجـديده، إنبهـاره بأعمـال الأساتذه التى شـاهدها فى المتاحف الأوروبيه، منهم : موريللو، لوكوريج، فانديك وروبينز. .

وقد لاقت موضوعاته الإسبانيه نجاحاً رائعاً ، فى معرض الأكاديميه الملكية بلندن عام ١٨٢٨، حتى أن الملك إشتـرى منها خمـس لوحات، ثم أصدر فى العـام التالى، مرســوما ملكيـاً بتعيـينه: الرسام الخاص للملك .

وولتر تشارلز هورسلى

١٨٥٥ - ١٩٣٠

تمثلت أبرز ابداعات هورسلى فى تصـوير المشاهد الشعـبيه والبورتريه، وقـد شكل الموتيف الشرقى فى أعماله، جزئاً حيوياً فى مفهومه للوحه التشكيليه الرومانسية.

وقد صقلت موهبة هورسلى فى مرسم والـده:رسام التاريخ ج . س . هورسلى، ودرس بالأكاديميه الملكيه البريطانيه، التى منحته الميداليه الفضيه فى فن البورتريه.

أول لوحه عرضت لـه بمعرض الاكاديميه الملكيـه السنوى عام١٨٧٥ ، وفى نفس العام، عـمل رساماً بالجرافيك، وأرسل الى الهند، فى حـاشية أمير الغال، مكلفـاً بعمل تحقيقات مـصوره لهذه الزيارة .

وفى الهند طلب منه "باهواب باهاوالبور" أن يرسم له مجموعة من مناظر الصيد .

وكان لزاماً عليه أن يرسم طوال جولاته، وقد أتاحت له هذه الرحله، زيارة مصر مرتين .

تشكلت القدرات الإبداعيه لهورسلى فى عصر "الواقـعية الجميلة" وتزود بمعنى عميق لملكة الفكاهة، وكان لتنوع المشـاهد وغزارتها دور فى إزدهار إبداعاتـه، التى تألق فيها نزوع واضح نحـو تصوير أنماط الحياه الشرقيه، التى لم يألفها الغرب .

وفى عام ١٨٧٧، عـرضت له عدة لوحـات بمعرض الأكـاديميـه الملكيه، وفى عـام١٨٧٩، عرضت له لوحتان عن القاهرة، ألحقت بمجموعة هندية من المحتمل أنه قام برحلة جديدة إلى مصر، عقب عودته من الهند

وبالرغم من إيثاره اساسـا للموضوعات الهنديه، إلا أن مـعظم إبداعاته، خلال العشـرسنوات التاليه، كان مستلهماً من مصر، وعن الحياه القاهرية بصفة خاصة .

وهذه المشـاهذ القاهرية، إرتكزت على تصـورات استـشرقيـة تقارن بين المـوروث الثقافى الـشرقى والثقافة الغربية .

وعلى سبيل المـثال، رسم هورسلى لوحة لفرقـة موسيقيـة نحاسيه، يرتدون زيهم الخـاص الجميل، تميزه الســتره الحمراء المتـألقة، الموشاه بالذهب والتى تتـباين ألوانها مع خليط من الألوان المبـرقشه

الصارخه للملابس الشرقيه الفخمه، مع الملابس الممزقة للجمع الغفير الواقف على الجانبين ، تستعرض هذه الفرقة فنونها فى شوارع القاهرة ، يتقدمهما رئيسها، سائراً مرفوع الرأس فى خيلاء، تبدو عليه سمات الجد، غير مبال ببعض تنافر الاصوات !

وقد إهتم هورسلى برسم بعض المسلمين، وهم يؤدون الصلاة ، فى طقوسها البسيطة، أحياناً فى أماكن قد تبدو - غير لائقة - للعيون الأوروبية ، على سبيل المثال، بين بطاريات المدفعيه على متن بارجة حربية، أو على ظهر إحدى مراكب الشركات السياحيه، بين دهشة بعض السائحين الذين راحو يتأملون هذ المشهد !

وأول لوحة فى مجموعته الهنديه - كانت تمثل إحدى الأخوات المتصدقات تقدم الماء لأحد طالبى الصدقه، وقد خارت قواه ، وكان هذا التصرف النبيل سبباً فى فضيحه . . لأنها أمسكت الإناء بيدها اليسرى!

ولوحته الشهيره: "In Time of Need" التى تصور فتاه تبيع حليها إلى صاحب حانوت، تعد موضوعاً فيكتورياً شائعاً فى الفن الاوروبى ، وبالرعم من تحليه بروح مرحه، إلا أنه كان شديد الجديه فى مرسمه، ملتزما بين زملائه، دقيق الملاحظه، جمع فى شخصيته الفنية الروح الرومانسية والفكر الواقعى ، والتنوع والتجديد فى المعالجة الإبدعية للمعطيات الجمالية للشرق .

(بومبيو ماريانى)

(١٨٥٧ـ١٩٢٧)

فى المعرض الدولى بروما عام ١٨٨٣، عرض ماريانى أكثر من عشرين لوحة بالألوان الزيتية، قسمت إلى ثلاث مجموعات، بعنوان: «ذكريات الشرق»و«على النيل» و٠٠«ذكرياتى الستة عشر عن مصر»٠٠ أشاد بها الناقد بيلترونى بقوله«لقد جسدت أصالة الروح المصريةالحقيقية»٠٠مع بداية عام ١٨٨١، أبحر ماريانى إلى بريندیزی مع بعض رفاقه، ومنها استقلوا باخرة نمساوية فى طريقها إلى الاسكندرية، وفى ديسمبر عام ١٨٨٢، نشر تحقيق بجريدة(L'illustrazione Italiana) عن هذه الرحلة، مدعما بأحد عشر اسكتشا عن شمال أفريقيا، وورد فيه أن ماريانى بمجرد أن وطأت قدماه أرض المرفأ، بدأ فى رسمه كروكيا، ثم إنصرف متجولا فى شوارع المدينة، حاملا أدوات الرسم وصندوق الألوان، فأثار فضول المارة ودعاه صيدلى يونانى للدخول إلى صيدليته، فوجد نفسه

فى مواجهة أحد الأتراك ضخم الجثة، يطلب منه أن يرسم له صورة شخصية !٠٠

ومن بين اللوحات التى نشرت بالجريدة، عدة موضوعات عن القاهرة وضواحيها، منها مشهد لأشجار البرتقال فى العباسية، ومشهد لقوافل الحجيج العائدة من مكه، و مشهد لصناعة الفخار٠٠ توجه ماريانى لزيارة متحف بولاق للآثار، لمشاهدة مومياوات الفراعنة وآخر انجازات اوجست مارييت، وتوجه إلى الأهرامات، إلى قمة العظمة الفرعونية كما وصفها٠* وفى شهر ابريل لعام١٨٨٢، اضطر للعودة إلى إيطاليا، بسب مرض أصاب عينيه، وعقب عودته، عكف فى مرسمه على إنجاز لوحاته المصرية، وعرضها فى روماونيس، وباع عدد كبير منهاإلى هواة المجموعات وبعض الفنانين الإيطاليين٠ وكانت رحلته إلى مصر، مرحلة هامة وحاسمة فى حياته وفنه، توجها

---

*Diehl ch.:La Peinture Orientaliste en Italie,La revue de L'art ancien et Modern,paris,1906 PP.27-28

بحصوله على جائزة«فوماجاللى» للتصوير وفى عام ١٨٨٤، نال جائزة «برنسيب امبيرتو» وفى العام التالى، حصل على الميدالية الذهبية لصالون باريس٠

حققت أعمال مماريانى نجاحا ملحوظا في ليفربول وميونخ، وألقى محاضرات فى تصوير الطبيعة وأكاديمية بريرا بميلانو.

وكان قد أنجز وهو فى الثلاثين من عمره مجموعة من المناظر البحرية المستوحاه من سواحل جنوه، ولتلك المشاهد جاذبية خاصة عندَ ماريانى في تلك المرحلة .

تميزت لوحاته بالأسلوب التأثيرى، فكان شديد الإهتمام بتأثير الضوء في مشاهد الطبيعة الريفية، حيث اكتشف أن الألوان المضيئة تضفى نضارة وبريقا متجددا للمشهد، كذلك اشتهر مارياني بالحفر بماء الفضة، وأهم لوحاته المصرية: مقابر الخلفاء، ومشاهد للنيل والجوامع والمزارات، ضمن مجموعة «لومازى» فى بورديچيرا.

(والتر تيندال)

(١٨٥٥ـ١٩٤٣)

مع نهاية القرن التاسع عشر، كان والتر فـردريك تيندال واحدا من أشهر الفنانين المستشرقين، الذين تخصصـوا فى الموضوعات المصرية، وقـد تمتعت ابداعاته عن القاهرة الإسـلامية بشهـرة فائقة، بما بلغته من دقة الـتصوير وسحر أسر وجاذبيـة متفردة، وقد ألهمـته القاهرة بحياتها اليـومية الحافلة بمشاهد بسطاء الناس، والحـركة الصاخبة فـى الشوارع والطرقات والأسواق وإبراز عظمـة العمارة الإسلاميـة، فأجاد مايمكن أن نسـميه عمليـة توثيق فنى للقاهرة ووادى النيل بصفـة عامة، فى ذلك العصر٠*

كان لتيندال أسلوبه الفنى المتميز، الواضح، يمزج بين الأضـواء والظلال فى براعة، مع دقة التفاصيل وبهجة ألوان متألقة غـزيرة، وحاسة عجيبة فى إختيار الألوان، فيبـدو جليا من دقة إختياراته، أنه لا يريد إختبارحقيقة مشاعرنا، ولكنها طبيعته٠٠

ولد تيندال فى بلجيكا، من أبوين بريطانيين، إمتدت إقامتـهما فى هذه الدولة ، والده كان محاميا، فى سن الخامسة عشرة، التحق بأكاديمية «بريج»٠٠ غير أن الحرب الفرنسية البروسية، كانت سببا فى قطع دراسته، بعدما أجبر والديه على العودة إلى إنجلترا، ليستقروا فى«بيرث» وفى السنوات التالية، كانت ملامح التكوين الفنى لوالتـر، قد بدأت تتبلور نسبيا وفى عام ١٨٤٧، إلتحق بأكـاديمية «انڤير» عندما عادت عائلته لتستقر فى بلجيكا مرة أخرى٠

الطلبـه الأجانب بهذه الأكـاديمية، اشـتهـروا بعدم الإنضـباط والإلتزام بإسـتثناء تينـدال، الذى حاز الميداليـة الفضيـة فى نهاية السنة الأولى، تقديـرا لاجتهاده وتميـزه الفنى ــ غيـر أنه لم يكمل العام الدراسى الثانى، إذ لم يستطع مقاومة إغراء الدراسة فى باريس٠

وفى باريس، إلتـحق بأتيليه الفنان المسـتشرق«ليـون بونات» الذى كان أحد رمـوز الواقعـية٠٠ فى

Ackerman G.M.:les orientalis tes de l, Ecole Britannique, paris,1990,P. 368

عام١٨٦٨، كان ضـمن المجموعة التى قـادها الفنان «جان ليون جيـروم» وزاروا وادى النيل وسيناء وسوريا، وأثمرت هذه الرحلة، مجموعة رائعة من ابداعات تيندال٠

وهكذا دخل تيندال دائرة المستشـرقين الفرنسيين*، وقد كان للاسكتشـات والقصص التى احضرها معه بونات من مصر، تأثيرا على أحاسيس تيندال وتنمية حبه للمغامرة، وقام بجولة فى باريس، مع قدامى الطلبـة بأكاديمية انفـير، وتحت إشراف الفنان البلجـيكى الشهيـر«جان فان بيـرز» الذى أقام بالعاصمة الفرنسية زمنا٠٠٠

اتسمت الأعمال الفنية الأكاديمية لتيندال بالواقعـية، وضحت فيها تأثيرات التعليم الأكاديمى وتدوينه لملاحظاته عن الطبـيعـة، وان إحتـفظ بشخـصيتـه وأسلوبه الخـاص، الذى تباين مع أعـمال أشـهر الواقعيين: مانيه وكـوربيه وباستيان لوباج٠٠ويروى عنه أنه كان يدرس جيدا، وبدقـة عجيبة، ألوان المشهـد قبل أن يبدعه، كـما تميز بتنوع موضـوعاته المختارة بـعناية متخلصا من الإتهـام الموجه إلى الواقعيين بأنهم «لايختارون» موضوعاتهم !

فى عام ١٨٧٨، عاد إلى إنجلتـرا، واشتهر كـرسام بورترية، نظرا للنجاح الذى حقـقه برسم صورة توفى صاحبها، فتوالت عليه الطلبات، لرسم أشخاص من صور فوتوغرافية بعد وفاتهم، هذه «العادة الجنائزية»٠٠ كمـا أطلق عليهـا، بالإضافة إلى المحـاضرات الخاصـة، أفائت عليه أرباحـا، أهلته لأن يتزوج عام ١٨٨٣٠

فى صيف ١٨٩٣، ظل يمارس الرسم بألوان الماء، مع تلمـيذته الرسامة «هيلين الينجـهام» حتى برع فى هذا الفن، ثم قضـى أجازة فى طنجه ١٨٩٤-١٨٩٥ أنجز خلالها عددا من لوحات ألوان الماء، غاية فى الرقة، حـتى أن مسـئولى معـرض«دودى زويل جاليـرى» لندن، طلبوا منه أن يرحل إلى مـصر وإبداع ستين مشهدا عنها٠*

فى ابريل ١٨٩٧ ، وصل تيندال إلى القاهرة، ليـقضى عامين بمصر، وشـهور الصيف منهمـا قضاها فى لبنان وسوريا، ومع الفنان«هنرى سامبسون» قضـى سبعة أسابيع بمدينة رشيد، والتى رآى فيها سامبسون أنها أكثر الأماكن مثالية لإقامة فنان فى مصر، وهى التى تأثرت بالتحديث والتطوير الذى شمل الاسكندرية فى عهد محمد على وخلفائه٠

---

*Hautecoeur L.:La Litterature et Peintres voyageurs 1828-1908,Paris,1983,P.166
* Ibid: PP168

واجه تيندال بعض الصعوبات، مثل ازعاج الأطفال والمتطفلين وبعض المتشددين الذين يحرمون رسم الأشخاص٠٠ فى شهر رمضان، حدث أن احتج عليه شاب، إحتجاجا مقزعا، لدخول إحدى بائعات الفاكهة إلى مرسمه، تطورت إلى مشادة عنيفة نتج عنها إصابة تيندال ببعض الكدمات، فأبلغ الشرطة، ويحبس هذا الشاب ستة عشر يوما٠

وروى تيندال أنه كان جالسا — ذات يوم — فى حانوت، يرسم بوابة أحد الجوامع فى مواجهته، فإجتذب انتباهه موكب عرس، رجال فوق صهوات الجياد، وفرقة موسيقية على ظهور الحمير، أطفال فى ثياب جديدة، وجمال مزينه، والبعض يتبارزون بالعصى، والعروس تحت مظلة حريرية حمراء، يحف بها نساء محجبات يطلقن الزغاريد٠٠ وبذل قصارى جهده فى أن يختزن تفاصيل عديدة فى ذاكرته، مما إضطره إلى التوقف عن الرسم فى هذا اليوم !

ويغلب على مشاهد القاهرة التى أبدعها تيندال، تصوير أشهر معالم العمارة الإسلامية*، جوامع وأسبله، ومناظر داخلية لها، وبعض الأضرحة ، وشوارع وأسواق، تميزت بواقعية التفاصيل، وتناغم الألوان التى تخيرها بعناية، وإحترامه لفن العمارة، جعل من هذه المعالم التى رسمها قيمة فينة، أكثر من كونها مجرد ديكورات، والأسوار الهائلة أستخدمت كدعامات لتفاصيل محددة غير مرهقة، وتمازج الضوء والظل فى الواقع، ساعده على ألا يقع فى إشكالية التكوينات الآلية المتشابهة !

فى عام ١٨٩٨، أنجز عددا من اللوحات، أرسل بها إلى بريطانيا، أقيم لها معرض خاص فى لندن، وفضل أن يبقى فى الشرق الأوسط حتى ابريل ١٨٩٩، وزار فى طريق عودته جزيرة صقلية، وفى يونيو من نفس العام، أقام معرضه الخاص الثانى، بعنوان:«القاهرة — القدس — صقلية»٠٠

فى عام ١٩٠٠، قام برحلة إلى إيطاليا، أثمرت عن مجموعة لوحات تثمل أشهر الأسواق الإيطالية، وفى البندقية إلتقى بالفنان«سامبسون» مرة أخرى٠٠ وفى عام ١٩٠٥، عاوده الحنين إلى القاهرة، ليبقى فيها معظم السنوات الخمس التالية٠٠ وبصحبة صديقه سامبسون يصعدا النيل، بدعوة من أسرة إنجليزية، فى دهبيتها الخاصة، فأمضيا ثلاثة شهور فى بلاد النوبة ، ثم انحدرا مع النهر، وتوقفا بمدينة الأقصر، نحو ثلاثة أسابيع، ليعود إليها فى العام التالى، وينسخ النقوش البارزة لمعبد الدير البحرى الشهير، ويبعث بها إلى متحف« المتروبوليتان» بنيويورك،ومتاحف تورنتو وادينبرج،

---

* Ibid: PP.169-170

أيضا نشط فى نسخ نقوش معبد سيتى الأول ومعبد إدفو، وكان وعالم المصريات«آرثر ويجال» يعيشان بين هذه الاطلال ــ بتصريح خاص ــ وينامـا أعلى معبد إدفو، هـربا من الحرارة الشديدة داخل أبهاء المعبد وقد تسبب ارتفاع الحرارة والأتربة، فى إصابتـهما بالتهاب رئوى، إستدعى نقلهما إلى مستشفى الإرسالية بأسيوط، ثم عودتهما إلى إنجلترا، ولكنهما فى فصل الشتاء عادا إلى الأقصر مرة أخرى !

والأعمال التى أبدعها تيندال فى تلك الفترة، شكلت محورا هاما فى كتابيه، الأول« مصر، مابعد الشلالات» ١٩٠٧ والثانى«فنان فى مصر»* ١٩١٢، ونصوص هذين الكتابين، تتضمن انطباعاته الذاتية من خلال جولاته بمدينة القاهرة، ووصف لمواقع أثرية بطول ضفاف النيل، وبعض القصص المسلية . واستمتع تيندال بالدهبيات الفاخرة الخاصة بأصدقائه الأثرياء، وكان من اليسير أن يعود إلى إنجلترا خلال فصول الصيف٠٠وقام برحلة مع صديقه«ويجال» من مدينة قوص إلى القصير، عبر الصحراء الشرقية، مستخدمين الطريق الوعر المعروف منذ عهود الفراعنة٠

*Tindal W.:Artest in Egypt, London,1912

وليم هولمان هنت

هو أحـد رواد مذهب«قـبل الرفائيليـة ــ Preraphaelisme الذى اعـتنقـه بعض الفنانين الإنجليـز بهدف تجديد الفن البريطانى بتقليد الفنانيين السابقين علـى رفائيل٠٠ وتركز اهتمامهم على استلهام الموضوعات الدينية التاريخية٠٠

وقد افتتح هنت الطريق بلوحته الشهيرة:

«Christ and the Two Maries» واستمـر فى هذا الإتجاه، بانجاز عدد من اللوحـات التى تمجد تاريخ الكنيسة الكلاسيكى فى بريطانيا٠٠ مع نقده الضمنى للاكليروس !

وقد بلغ ذروه إبداعاته فى هذه المجموعة بلوحة

«The Light of the World» التى تظهـر المسـيح فى الليل، ممسـكا بقنديل، يطرق أحـد الأبواب المغطى بحشائش برية٠٠ فى مزج يثير الدهشة بين الواقعية والرومانسية المفرطة٠٠ !

عندما رأى «توماس كارليل» هذه الـلوحة جاهزة للعرض فى مرسم هنت، سأله ساخـرا عما إذا كان يعتقـد حقا بأن المسيـح كان يتنقل وهو يرتدى زيا مضحكا كـهذا«ملابس قسـيس وتاج مذهب على رأسه، وعلق عـلى صدره هذا النوع من الحلى» !٠٠ هذه اللوحـة أصبحت الايـقونة البروتسـتانتـية الكبرى فى هذا القـرن٠٠ كما أصبـحت مصدر ثراء لهنت! استـثمر هنت جزءا من حـصيلة بيع هذه اللوحة، وخصص ماتبقى لتمويـل رحلة إلى الشرق، وقد وصف فى سيرته الذاتية، هذه الرحلة التى فرضتـها الرغبة فى زيارة الشرق ومعـايشته والكشف عن الغموض، واسـتكناه أسرار أزمنة الكتب المقدسة٠

وكتب عن انطباعاته بمجرد أن وطأت قدميه أرض مصر:

«٠٠ فجـأة أدركت كيفـية الافلات من زيف الحيـاة الحضارية المصطنعـة٠٠ فالطبيـعة تهب نفسـها بجمالها البكر، البسيط ٠٠والحياة تبدو وكأنها تخلق من جديد» !

ويضيف قائلا:«٠٠ لم أكن أطمح لتصوير مصر الحديثة، مـاشاهدته ودرسته فيها، لم يكن إلا لتنقية

ماتعلمناه من التاريخ القديم٠٠ فجميع العادات الموروثة، من جيل إلى جيل، والأزياء٠٠ والذوق الإنسانى٠٠ كلها مهددة بالإنقراض٠٠ ربما فات الإوان على مقدرة أحد الأجيال، على إعادة تشكيل الماضى٠٠ الذى قد نلمس بعض مظاهره فى حياة الريف والصحراء»٠

ورأيه فى الأهرام:«أنها كتل كريهة المنظر، شيدت بأقل درجات الروعة» !

وتمثل لوحته:«The Lantern Maker,s Courtship» حدثا كان هو شاهد عيان له بأحد شوارع القاهرة٠٠ فكتب فى مذكراته:«لقد حاول أحد الحرفيين كشف وجه خطيبته المحجبة، ويعتبر هذا العمل ــ كشف الحجاب ــ خطأ لايغتفر، والفم والذقن هما أقصى مايسمح الأدب والتقاليد برؤيتهما٠٠ وهذه الواقعة ترمز إلى الخير الإنسانى، وفى رآيى أنه مبدأ طيب»

ثم واجه هنت مشاكل جم، فى محاولته العثور على فتاة تصلح موديلا للوحته«The After Glowing Egypt» ويأس من الحصول عليها ، فتوجه مع صديق له إلى أحد المواخير، آملا أن يجد إحدى البغايا التى تقبل الوقوف أمام رسام٠ ولكنه عبر عن هذا الموقف بقوله«يبدو أن البغايا قد وقع عليهن الاختيار، لإظهار الجانب القبيح المنفر للرذيلة على وجوههن طريقة حكيمة يمكن أن تلاقى نجاحا٠٠ ويبدو أننى سأعمل بها»!

وكان هنت نقد إلتقى صديقه الفنان«توماس سيدون» الذى سبقه فى الرحيل إلى القاهرة٠٠ فكان أكبر همومه، شعوره بأن صديقه سيدون«أصبح من الأهالى» فقد بدأ فى تعلم اللغة العربية وتزيا بملابس شرقية !

وأقام مع صديقه معسكرا بالقرب من الجيزة، وهربا من العواصف، إنتقل هنت للإقامة فى أحد فنادق المدينة٠٠ وكان سيدون يستثيره بتهريجه وقصصه ونوادره٠٠ إلا أن معرفته بقدر من اللغة العربية، أفادت هنت فى التغلب على الصعوبات التى واجهها٠

وعندما وصل هنت إلى القدس، إصطدم بنفس المشاكل التى واجهها فى القاهرة، عندما أراد البحث عن موديلات يهوديات للوحته:

«The Finding of the Saviour in the Temple»٠

فالتقاليد الدينية تحرم على النساء الوقوف كموديلات، ولما صار هدفه معروفا حرص الحاخامات على التشدد فى منع قبول أبناء الطائفة لما ينشده هنت٠٠بل وتحريم مجالسته فى اجتماعاتهم !

وليم برينسيب

(١٧٩٤ - ١٨٧٤)

كان مستر "جون" والد الفنان وليم برينسيب، واحدا من قيادات "الشركة الهنديه الشرقية" . . ومؤسس تجارة " النيله" مع الهند . إستقر في مدينة كلكتا سنة ١٧٧١ ، حيث كون ثروة ، ساعدته في تنشئة أولاده البالغ عددهم أحد عشر طفلا . . اشتهر منهم أربعة كرسامين بالألوان المائية، وقد توارثت الاجيال التاليه لهذه العائلة، القدرات الفنية، فكان أبرزهم الحفيد "فالنتين كاميرون برينسيب" تلميذ واتس، الذى ذاعت شهرته في نهاية العهد الفيكتورى.

فى كلكتا، تلقى وليم برينسيب، دروسا فى الرسم بألوان الماء ، على يد الفنان البريطانى "جورج تشينرى" الذى إستقر بالهند منذ عام ١٨٠٢ حتى عام ١٨٢٥ .وكان لتشينرى شهرته كرسام بورتريه بألوان الزيت، كما صدرت له عدة ألبومات، تمثل مشاهد من البيئة الطبيعيه للهند .وإلتحق برينسيب بشركة "بالمرو" . .وتقدم باستقالته عام ١٨٣٠، ليعمل فى مجالات التجارة الحره والبنوك. وفى غضون إثنتا عشر عاماً، جمع ثروة هائلة ، ثم غادر الهند عائداً إلى انجلترمن بومباى، أبحر برينسيب على متن إحدى بواخر شركة (T.coke) متجهاً إلى السويس ، فى أول يناير سنة ١٨٤٢ ، لم يدون أية يوميات خلال رحلته، لكنه رسم العديد من الاسكتشات عن انطباعاته الذاتيه لعرضها على أفراد عائلته وأصدقائه . .

وتجدر الإشاره، الى أن ميناء عدن بمدخل البحر الاحمر، أصبح محطة هامة للمسافرين، وعقب الإحتلال البريطانى عام ١٨٣٨، أقامت السلطات الانجليزيه فيه مستودعاً للفحم، على الطريق إلى الهند، كما تزودت المدينة بعدة فنادق جيده، وبعد أن تتزود البواخر بالفحم، تواصل رحلتها فى البحر الاحمر، للتزود مرة أخرى فى مدينة القصير المصرية .

ومن السويس، يتجه المسافرون إلى القاهرة عن طريق الصحراء فى عربات تجرها الخيول، أو على

ظهور الحمير أو الجياد، وبعد إقامة قصيرة بالقاهرة، يتوجه المسافرون إلى الاسكندرية عن طريق النيل ، ومنها يستقلون باخرة شركة (Dando) فى رحلتها الشهرية الى انجلترا.

ومن المعروف أن ميناء عدن، يقع فى حوض بركان قديم، والطبيعة الساحره للمدينة، وجبل "شمس – هان" الذى يحتضن المدينه، كل ذلك دفع برينسيب إلى إنجاز العديد من المشاهد المتنوعه عنها . .

برينسيب ورفاقه المحبون للمغامرات، أجمعوا أمرهم على زيارة وادى النيل، وقضاء بعض الوقت بالقاهرة، فغادورا الباخرة فى ميناء القصير ورحلوا إلى "طيبة" التى تبعد عن الساحل نحو ٢٠٠ ك/م والطريق من القصير إلى وادى النيل، يرجع تاريخه الى عصور الفراعنه، حيث أسهم هذا لطريق فى إستغلال ثروات الجبال، كما أصبح طريقاً للمواصلات الرومانيه، ويضم بعضاً من أطلال مواقع رومانيه وآبار مهجورة. وغالباً ماكانت تستخدم الجمال لاجتياز هذا الطريق الوعر، والرحلة كانت تستغرق نحو تسعة أيام ، فالطريق ملىء بالنتوءات الصخريه، كما كبد مجموعة من برينسيب كثير من المشاق، وقد أنجز برينسيب سبع لوحات، لهذا المر الجبلى وللقافله عندما إتخذت طريقها فى الصحراء، وبعد أن غادرت المنطقة الجبليه، وكان شاهداً لحفل عرس فى بلدة "لقط" سجله فى إحدى لوحاته، وأبدع لوحته "أول منظر للنيل" بعد خمسة أيام من مغادرته القصير .

لم يكن برينسيب ومجموعته، شهوداً فحسب على تباين اللون الازرق، السماوى الخلاب المنعكس على صفحة الماء، بل أيضاً تلك الخضرة اليانعة التى تكسو ضفتى النيل فى عمق الوادى، مشهد رائع دائماً فى إنتظار الزائر . . أو الفنان !

أقام برينسيب لفترة أطول فى الأقصر،أبدع خلالها العديد من المشاهد الرائعة لأطلال ومعابد المدينة ، سواء منها ما يتراءى خلف الحقول الخضراء أو تلك التى تحتضنها الصحراء، كذلك خلد أيضاً زيارته لوادى الملوك .

بعد ذلك، إستقلت هذه المجموعة "دهبيه" انحدرت بها مع النيل ورسم برينسيب مشهدين لمعبد دندره، أحدهما داخلى والاخر خارجى، عندما كانت الرمال تغطيه إلى منتصفه تقريباً .

وخلال إقامـة قصيرة بمدينة أسـيوط، زار منطقة المقابر، وصور مـشـهداً لعدد من الأسـرى: ضحايا تجارة الرقيق !

وفى بنى سويف ، رسم ســوق المدينه فى عدة مشــاهد، وفى موقع "منفيس" الـقديمه . . إستـحوذ على إعجابه، تمثـال ضخم لرمسيس الثانى، قـد تم تنظيفه من الطين والأتربه، فثـبت هذا المشهد فى واحدة من أروع اعماله !

القاهرة ثرية بمعطياتهـا الحضاريه، فكانت فردوساً لرسامى الألوان المائيـة، فرسم برينسيب مناظر من شوارع القـاهرة، وبعض من أسواقـها، ومســاجدها . . كمـا زار الجيـزة، ورسم الأهرام وسوق المدينه . . .

ومن بين اللوحات الطريفه التى أبدعها برينسيب عدة مشاهد لأحد حمامات القاهرة، بداية من عرض واجهتـه على الطريق، إلى طقوس الاستحمام الـتى تؤدى بداخله، ثم الإسترخاء بغرفة الإسـتراحة، وبرينسيب نفسه يبدو ممدداً، وملفوفاً فى عدة مناشف ينتظر قهوته !

أوريللي، جيوسيبي

(روما ١٨٥٨ - انزيو ١٩٢٩)

لوحات تمثل تاريخ ايطاليا، وبورتريهات لـلعائله المالكه الايـطالية، كـانت سببـا في زيوع شهـرة "جيوسيبي" بالاضافة الى الكثير من لوحـات بالالوان المائية، لمشاهد شرقية: عن الحريم، والجرس، والاسواق العـربية، والمدهش أنه لم يقم بأى رحلة الي الشرق ! . . ولكن مـثل الكثير من معـاصريه، إستلـهم ابداعاته من الوثائق الغـزيرة المزودة باللوحات والصـور الفوتوغـرافيـة، وكتابات الـرحالة والمؤلفـات الاستشـراقيـه وحكايات ألف ليله وليلة التى غـزت اوروبا في النصف الثاني مـن القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

درس "أورييللي" في أكـاديميـة " SAN LUCA " * حيث تتلمـذ علي يد "سيزار مـاكاري" و "بترو جايا رينى" . .

كـان يعرض دائمـا في روما، وتيـران، وبولونيـا بين عام ١٨٨٣ ، ١٩٠٧ ، وشـارك في باريس في المعرض العالمي لعام ١٨٨٩ وفي صالونات ١٨٩١ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٧ .

وعرض أيضا لوحـات من التاريخ في المعرض الدولي لعام ١٨٨٨في ميـونيخ، والمعرض العالمي في شيكاغو لعام ١٨٩٣ .

أما بالنسبة للوحاته التي يرسمهـا بالألوان المائية عن مناظر الشرق، نادراً ما كانت تعرض نظرًا لأن هواة المجموعات من الأوروبيين والأمريكيين كانوا يشترونها بمجرد أن ينتهي من رسمها* . . !

إحدي اللوحات بعنوان "شرقي" عرضت في معـرض الفنون الجميلة السبعين في عام ١٩٠٠ . ولما كان مـرسمـه يقع فى شارع مارجـوتارقم٤٨،كان "أوريللى" يستطيع أن يتـبادل الافكار مع بعض الرسامين المستشرقين ذوى الانتاج الغزير فى روما٠

فكان يسلك نفس السلم الـضيق، الذى يؤدى دائمـا الى مجـموعة مـن المراسم المتشـابهة "أقـفاص

---

*Ackerman G.M:les orientalistes de L'Ecole Italienne,Paris,1988,P.20
* Ibid: PP.169-170

الأرانب" مثل "نازارينو كيبرياني" و "فيليبو بارتيليني"، و "انريكو تارينجي"، ورسام الكتب "ايتوري اكزيمينيس"

ويطغى على التركيب الفنى لابداعات أوريللى: الموتيفات الشرقية التى تحقق له تناغم الالوان وتداعياتها مع الضوء والظل، فقد كان شغوفاً بفنون الأرابيسك والسيراميك ، أغطية جلود الفهود، الأزياء الشرقية، نباتات المناطق الدافئة والتى كان يحتفظ ببعضها فى أوان زجاجيه بمرسمه الخاص !

وبعض من إبداعات أوريللى تعرض فى المعرض القومى للفن الحديث وكذلك فى (L'Aula del Consiglio Provinciale) فى روما، ومتحفّ جاليرى لندن . .

ولكن معظم لوحاته الاستشراقية تتضمنها مجموعات خاصة .

وليم جيمس مولر

(بريستول ١٨١٢ - لندن ١٨٤٥)

نال "مولر" شـهرة محدودة في حـياته، فقـد أعقب مباشـرة الفنان " تيرنر" في تصوير مـشاهد الطبيعـه، فلم يكن معروفاً إلا في أوسـاط هواة المجموعات الفنيـة، وتتناثر أعماله في كـثير من هذه المجموعات، حيث بات من الصعب حصرها !

وقد حظـي بشهرته المحـدوده - في عصـره - عن إبداعاته بالألوان الزيتـيه التي تصـور مناظر من الحياه المصريه، عرضـها فيما بين عامي ١٨٣٩ - ١٨٤٣ .

ولد مولر بمدينة بريستول في عائلة موسرة ، علي درجـة من الاهتمام بالعلم والثقافة . وكان والده مهاجراً من بروسيا، شـجعه علي رسم مشاهد الطبيعه، ومحاكاة آثار مـتحف بريستول، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره تعهده رسام مغمور يدعي "ج . بيني" وأحرز مولر تقدماً ملموساً، لكنه فقد والده في التاسعة عشر ، وتولت أمه رعايته، وأصبح يتكسب من رسمه لمشاهد الطبيعه . *

ثم إرتبط مولر بصداقات مع معظم فناني مدرسة بريستول، ومع أعضاء جمعيات الرسم المحليه. في عام ١٨٣٤، قام بجولة طويلة بين ربوع أوروبا، بدأت بالرحيـل إلي بلجيكا، ثم سويسرا، وإنتهت في إيطاليا أنجـز خلالها العديد من اللوحـات بألوان الزيت والماء، والاسلوب الفني لهذه المجمـوعة، تأثر كثيرا باسلوب "ك . ستينفليد" و "تيرنر" .

أولي لوحاته التي عـرضت بالاكاديمية الملكيـه "انهيار كـوبرى لندن العتيق" كـانت في عام ١٨٣٣، وبالرغم من هذه البداية اللندنيـة ،إلا أنه عاد إلي بريستول، حيـث كان راغباً في تدعيم شـهرته قبل

*Thornton L: Ibid,P.154

الإستقرار في العاصمة البريطانية .

"مولر" و "دافيد روبرتس" تزامن حضورهما إلى مصر في سنة ١٨٣٨،* وإن كانت رحلة روبرتس أطول وأشمل، كما أن مولر كان يتنقل في ظروف مرفهه إلي حد ما، إلتقيا بالقاهرة في يناير ١٨٣٩، بعد أن أتم كلاهما رحلة في النيل، وكانت بينهما رسائل متبادله .

كان روبرتس يتباهى بأنه أول فنان بريطاني زار مصر، مستقلا عن بعثات دراسة الآثار والتنقيب عنها، ولم يمهل القدر— مولر— عمرا كافيا للمطالبة بشرف ما، كان روبرتس يكبره بنحو خمسة عشر عاما، وقد واصل رحلته إلى قلسطين وسوريا٠ فأنجز الكثير من إبداعاته الاستشراقية، ومنها ما أبدعه من مخزون ذكرياته٠

وبالرغم من حب مولر للمغامرة، إلا أنه لم تتوافر لديه الامكانيات ليرحل فى قافلة عبر سيناء إلى القدس٠

*Ballantine J.The Life of David Roberts, Edinburgh,1886,P.101

(بروسبير ماريلا)

(١٨١١ـ١٨٤٨)

فى معرض صالون باريس عام ١٨٣٤، كتب الأديب المستشرق: تيوفيل جوتييه٠٠«لقد حققت لى لوحات ماريلا، صورة أحلامى عن الشرق، وفيها شعرت باننى وجدت وطنى الحقيقى»٠

درس ماريلا فى أتيليه فنان ايطالى مغمور«فالنتين» سبق له زيارة الشرق، ثم انتقل إلى متحف الفنان روكبلان المغرم بالشرقيات، وشاءت الصدفة وحدها أن تحمل ماريلا إلى الشرق،* ففى عام١٨٣١ أتى عالم النبات الالمانى البارون«فون هيجل» إلى متحف روكيلان، بحثا عن رسام يرافقه فى رحلته إلى الشرق، ووقع إختياره على ماريلا، واستغرقت هذه الرحلة نحو عامين، طاف خلالها بمصر وفلسطين ولبنان وسوريا، متنقلا فى خيمة أينما حل، وسجل معالم الطبيعة الشرقية وأنماط الحياة ومظاهرها: الجغرافية والتاريخية والحيوانية والنباتية٠٠٠

ثم حدث أن اختلف ماريلا مع العالم الالمانى، فكان فراق بينهما، وظل عدة شهور بالاسكندرية، إلى أن التقى الفنان«بريس داڤن» وارتحلا معا إلى صعيد مصر، لتسجيل مابقى من روائع فنون الفراعنة٠٠

ارتبطت شهرة ماريلا بمصر خاصة، وكان يذيل لوحاته دائما باسم«ماريلا المصرى»٠٠ وقد حاول دائما، أن يجسد فى لوحاته الشرق الرومانسى الحالم، مصدر الالهام والإبداع، وقد كتب فى احدى رسائله:«فى اليونان آثار رائعة، قد لانجد لها مثيلا فى مصر ولكن الناس فى مصر أكثر روعة، مازالت تتوافر فيهم تلك الشخصيات والصور التى أبدعت فى فن النحت المصرى القديم»

وفى رسالة أخرى، أشار ماريلا إلى التأثير الهائل الذى تركته فى نفسه، المساجد فى مصر، وتماثلها مع الطرز المعمارية للكنيسة القوطية*٠٠ وهذا يؤكد ولع الفنانين الرومانسيين، بتصوير المنائر والجوامع والاسبله وغيرها، مما يتجاوب مع الأفكار الجمالية للذوق الرومانسى٠٠

*Ackerman G.M:Ibid.PP.34-35
*Carre J.M:Ibid:vol 2,P.115

من أبرز ابداعات ماريلا، لوحة«شارع فى القاهرة» التى تجلت فيها كل أنواع العمارة الإسلامية، فى وحدة بنائية متناسقة ومتكاملة، وحركة الحياة المتمثلة فى مجموعات البشر والحيوانات والأشجار، وتمازج الضوء والظلال فى مهارة واحساس مرهف بأدق التفاصيل المعمارية وإبراز فخامتها·

وبراعة ماريلا وعبقريته الفذة، تتجلى فى لوحته الشهيرة«مشهد من ميدان بالقاهرة»·· المنارات السامقة التى ترتفع إلى السماء فى شموخ وبيوت شرقية تزينها الزخارف الإسلامية الفخمة، وأشجار باسقة، ووحدة المشهد تجسد إندماج الواقع بالخيال وتبرز شاعرية المدينة وواقعها اليومى·

كتب ماريلا فى يومياته:*«ترى حدة المتضادات فى القاهرة بالذات، فهناك، يذوب كل شىء فى إنسجام المنظر الغريب، الاضرحة والمساجد والبساتين والنخيل·· والنيل الذى يبعث بألفة الحياة فى الصحراء والأنماط المتعددة للمبانى·· الأزقة الضيقة حيث يحتشد الناس·· تراكم ذرات الرمال فوق آلاف المآذن، التى تزينها زخارف إسلامية دقيقة·· بلا شك أن هذا المشهد المدهش يحفز حمية الفنان»·

فى لوحته«اطلال مسجد الحاكم فى القاهرة»·· تمثل بقايا منارة المسجد والجدران والأعمدة الضخمة، وسماء ذات تدرجات لونية متعددة، وسكون يدعو إلى التأمل، وهدوء يمثل ذلك المكان الصحراوى وايقاع بطئ لحركة الأفراد·· وتعد هذه اللوحة، نقلة جديدة فى نظرته الفنية لعالم الشرق··

وتجدر الإشارة إلى أن الفن الفرنسى، فى مرحلة ما قبل ماريلا، لم يعرف الطبيعة الروحية للشرق، فالمشاعر الذاتية لهذا الفنان العظيم، أضفت على الفن الاستشراقى لونا من الرومانسية الجذابة المؤثرة، فلوحاته المصرية بالتحديد، كانت إنعكاسا لروحه الشفافة وهو ينشد الحياة المثالية وشكلت أشجارالنخيل والجوامع والاسبلة والشوارع والجمال والأزياء الشرقية الموضوع الرئيسى فى إبداعاته··

لقد بدأ ماريلا بالشرق وإنتهى به، وترك لنا إبداعات مفعمة بالشاعرية والشفافية والموسيقى اللونية·· فبدت كحلم آت من بعيد يسرق البصر من بين خطوط وإشارات، حملتها التداعيات من عوالم سحرية غامضة !

*Hautecoeur L,:Ibid:P.97

ببليواجرافيا

****

1 Carre J.M: Voyageurs et ecrivains Francais en Egypte, IFAO, Le caire, 1932,2 Vols,

2 Diehl ch.: La Peinture Orientaliste en Italie au Temps de La Renaissance, La Revue de L' art ancien et Moderne, Paris,1906

3 Fromentin E: une ete dans le Sahara, Paris, 1857

,, ,, :Les Lettres de Jeunesse, Paris 1909.

4 Gerald M.Ackerman: Les Orientqlises de L, ecole Britqnnique,ACR edition 1990.

5 ,, ,, ,, :Les orientalistes de L,Ecole italienne.

6 Hautecoeur L.: La Litterature et Peinture en France de XVII au xix Siecle,, Paris 1963

7 Lynne Thornton: Les Orintalistes, Peintres Voyageurs 1828- 1908 Paris, 1983

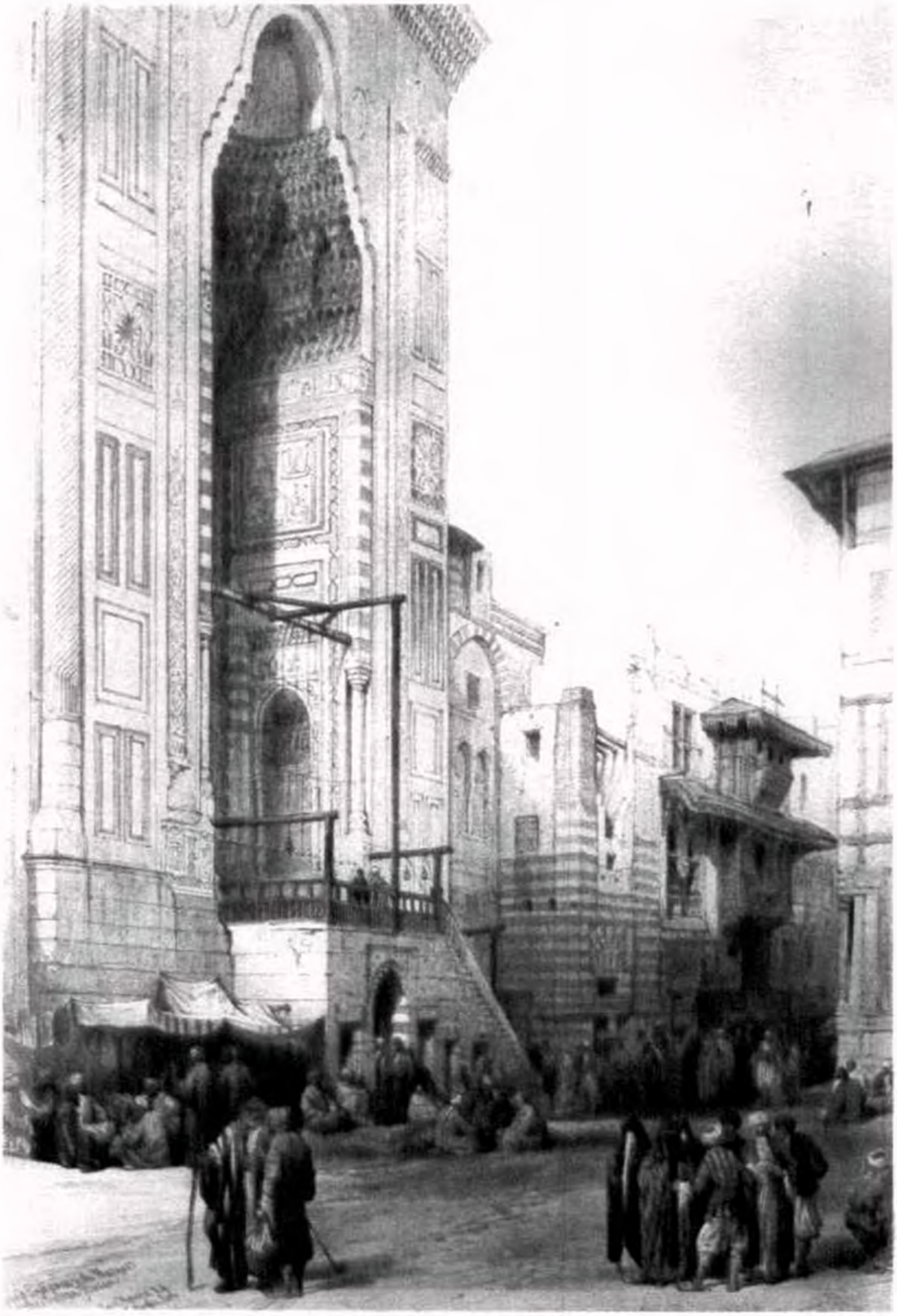
8 Thompson J. et Wrigt B,: La Vie et L, oeuvre D,Eugene Fromentin, Paris, 1987

٩ـــ د٠ اوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة السلطة الإنشاء، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٠٠

١٠ـ د٠ زينات بيطار: الاستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى، عالم المعرفة ١٥٧، ١٩٩٢٠



دافيد روبرتس: باب زويلة ومنارتا جامع المؤيد شيخ



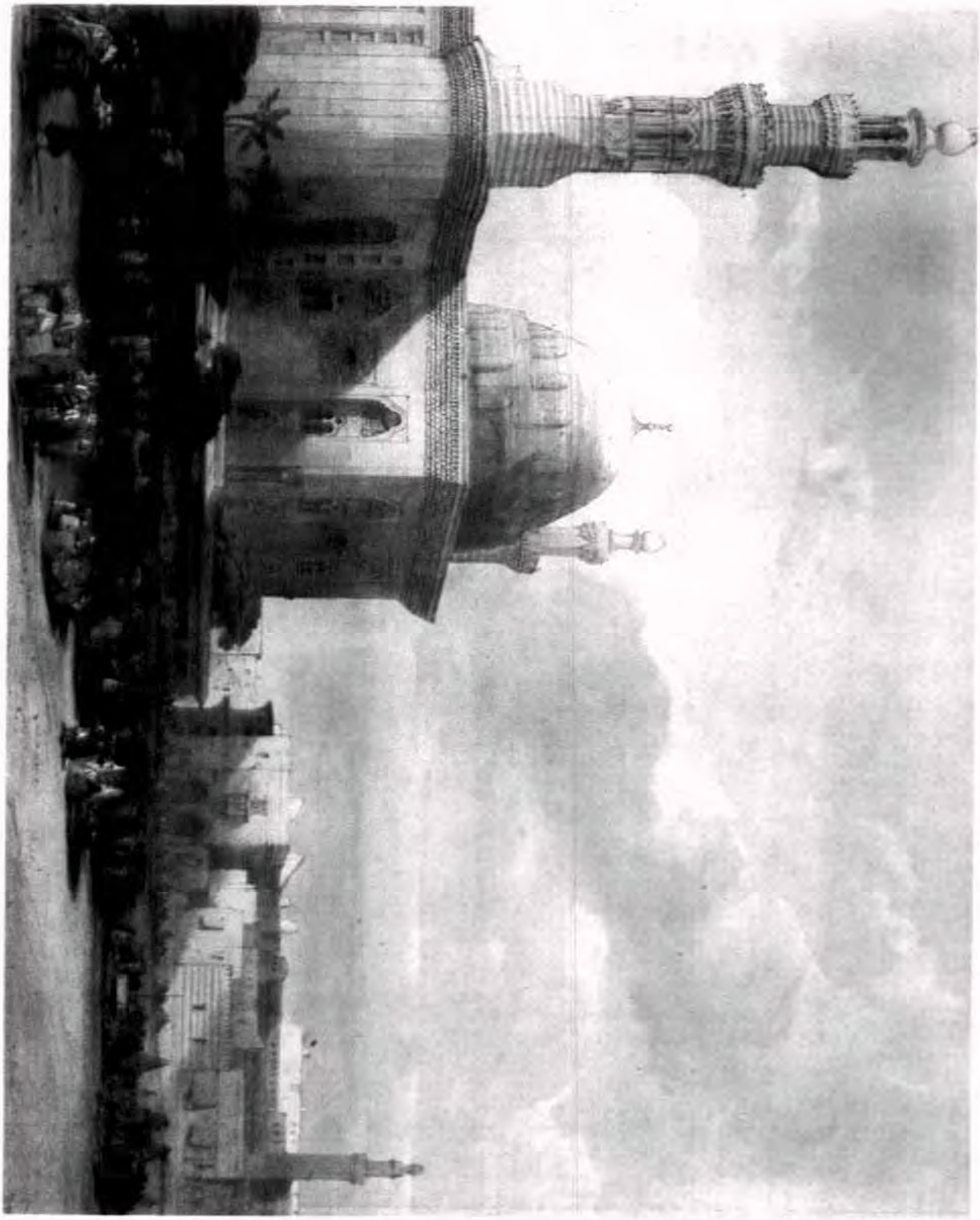
دافيد روبرتس: المدخل الرئيسى لجامع السلطان حسن



دافيد روبرتس: سوق الحرير بالغورية وجانب من قبة وجامع السلطان الغورى

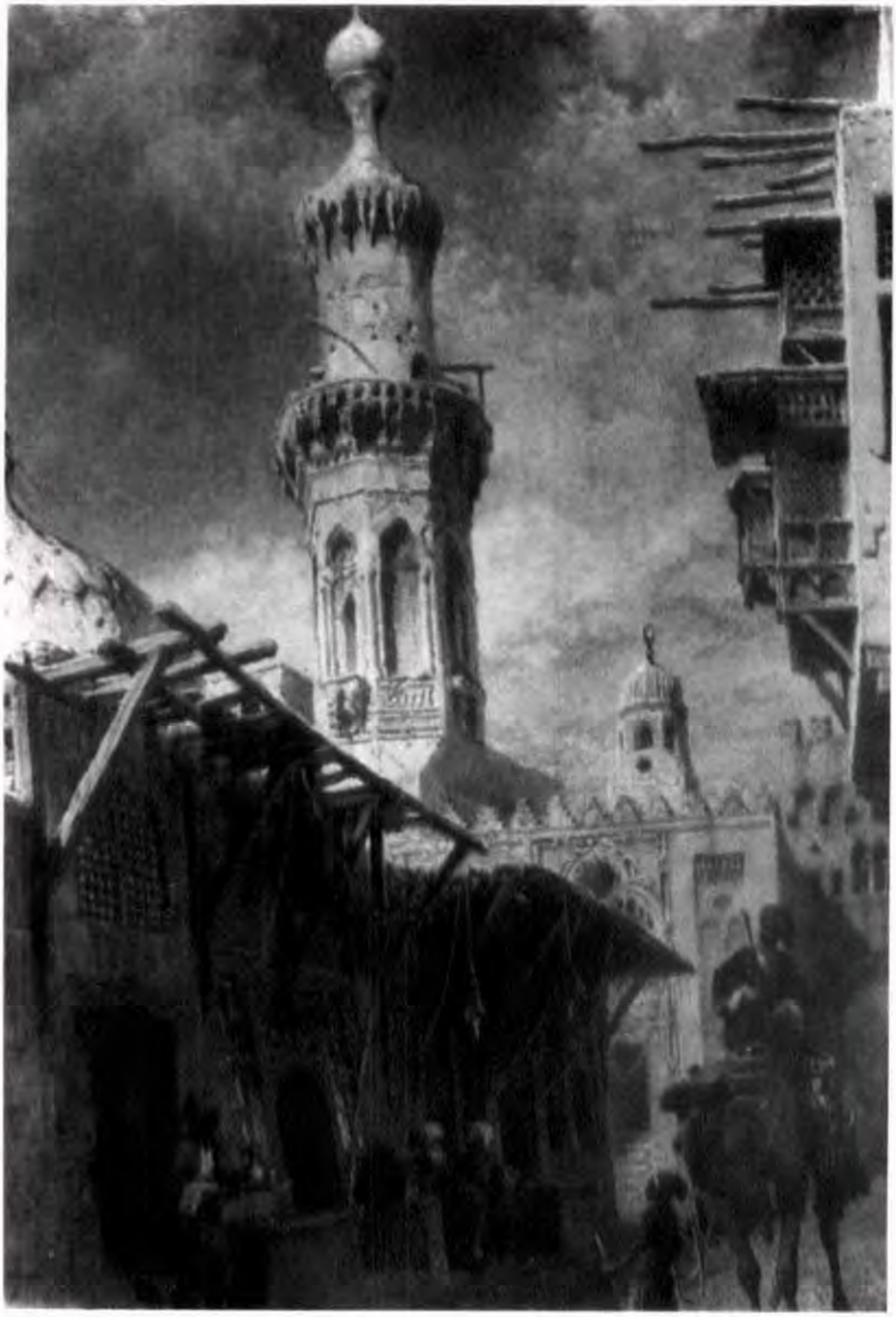


دافيد روبرتس: واجهة مسجد أبى العلاء بحى بولاق





دافيد روبرتس: بالقرب من باب زويلة ومنارتى المؤيد شيخ



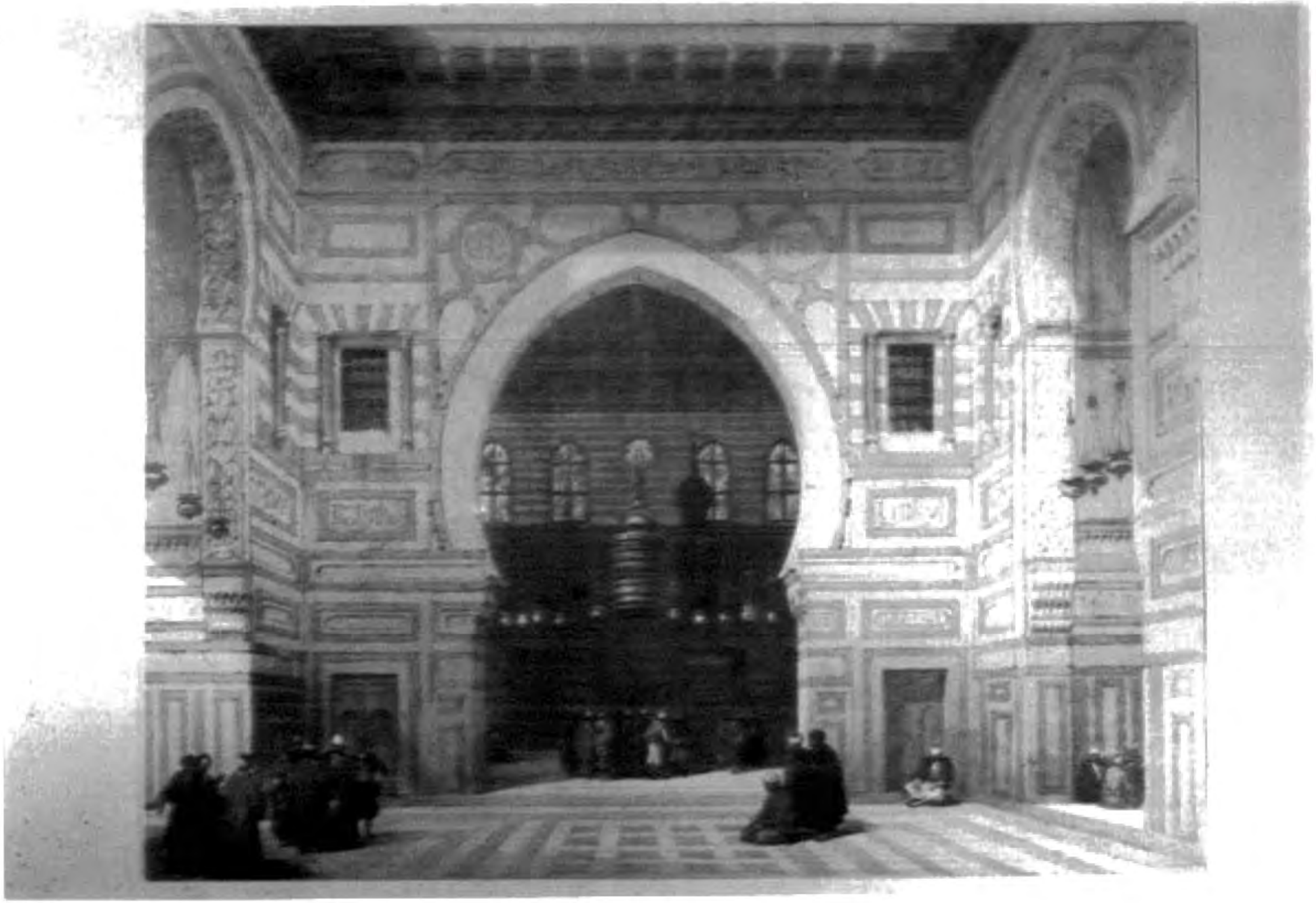
كارل هاج: جامع الغورى بالقاهرة



دافيد روبرتس: باب النصر وجامع الحاكم بأمر الله



لودفيج دويتش، جامعة الأزهر



دافيد روبرتس؛ داخل جامع السلطان المؤيد





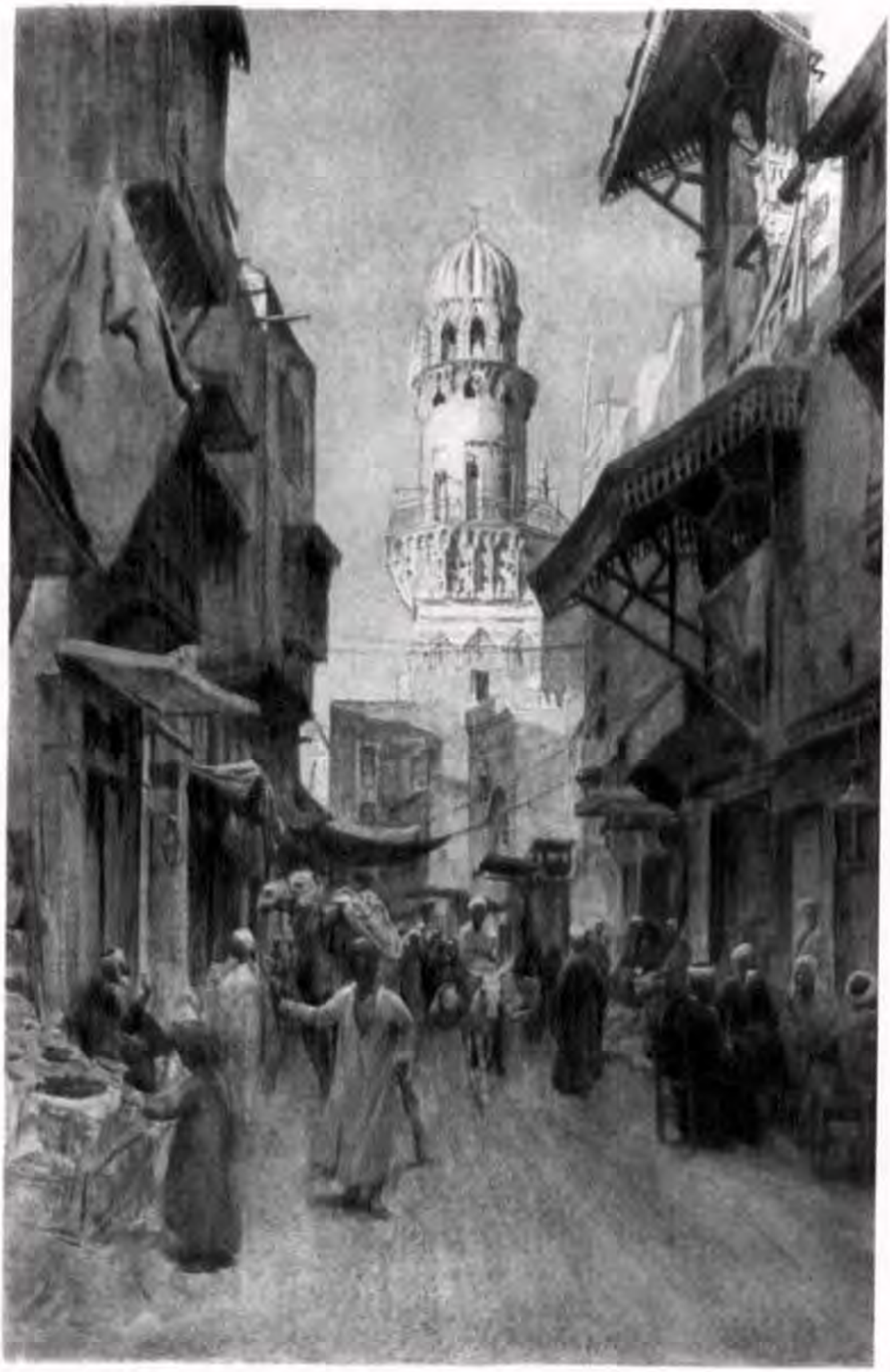
جابرييل كاريللى: مشهد من شارع بالقاهرة



والتر تيندال: شارع بالقرب من قلعة القاهرة



والتر تيندال : درب الجماميز بالقاهرة



والتر تيندال : مشهد من الجمالية



والترتيندال : مشهد من شارع النحاسين



والتر تيندال : ضريح ومسجد أربوغان بالقاهرة



والتر تيندال : ضريح شيخ بالقاهرة



والتر تيندال :شارع بالجمالية



فرانك ديلون، قاعة حريم الشيخ السادات



دافيد روبرتس: سوق النحاسين بالقاهرة



والترتيندال : فناء منزل بالقاهرة



والترتيندال ، شارع بالقاهرة



فرانك ديلون: المحكمة ـ بيت القاضى



چيوسيبى انچيليلى : اللوحة الشهيرة لأعضاء البعثة الفرنسية - التوسكانية يتوسطها شامبليون بالزى الشرقى



فردريك لويس؛ كاتب الرسائل



رود.ولف سفودا: رفا السجاد



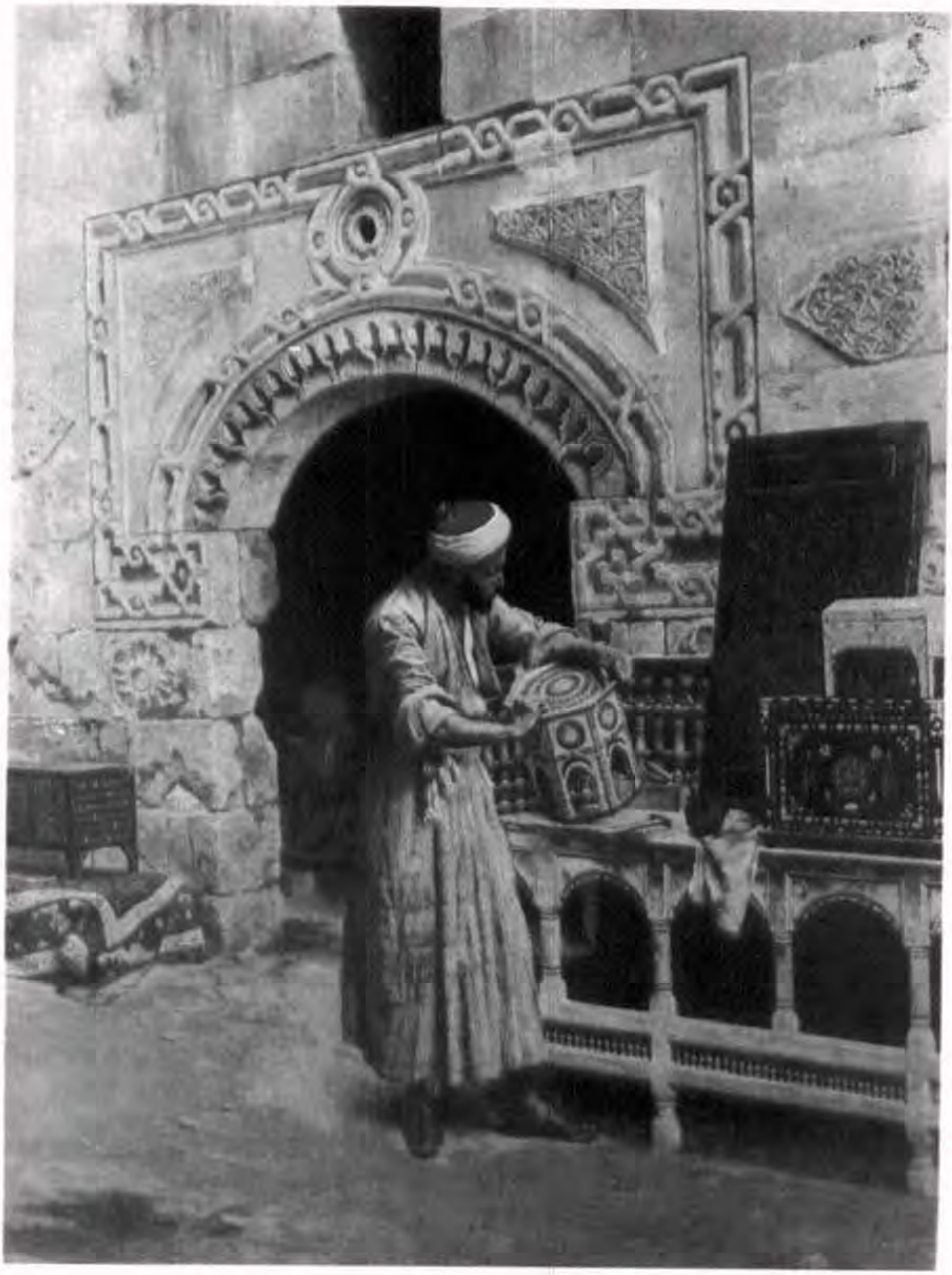
جيل جوسيه : داخل مقهى



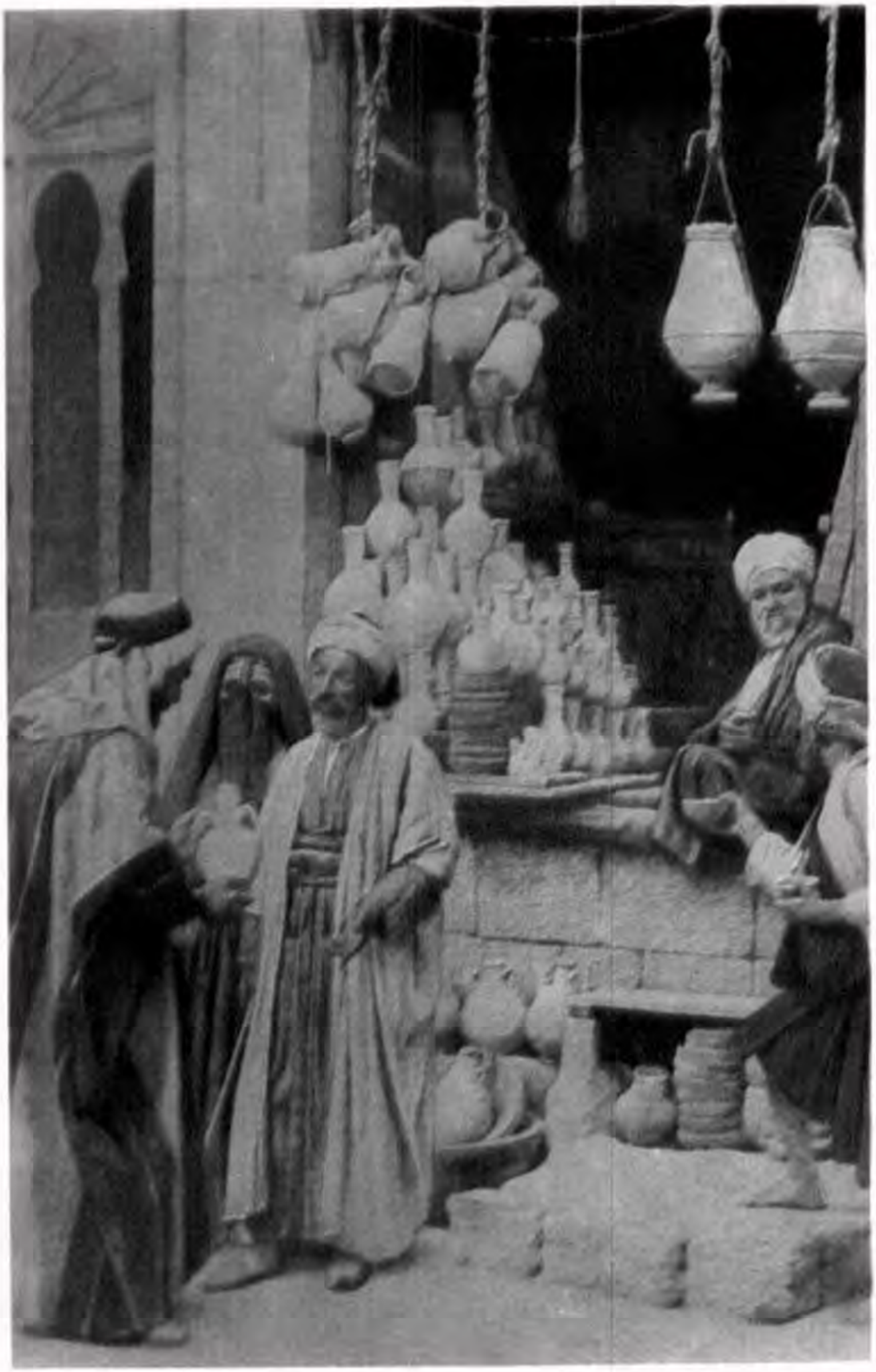
ج . ل. جيروم: امرأتان من الغوازى تلعبان الشطرنج فى مقهى بلدى



لودفيج دويتش: بائع العرقسوس



لودفيج دويتش، بائع الأثاث



فيليبو بارتولينى: بائع الأوانى الفخارية



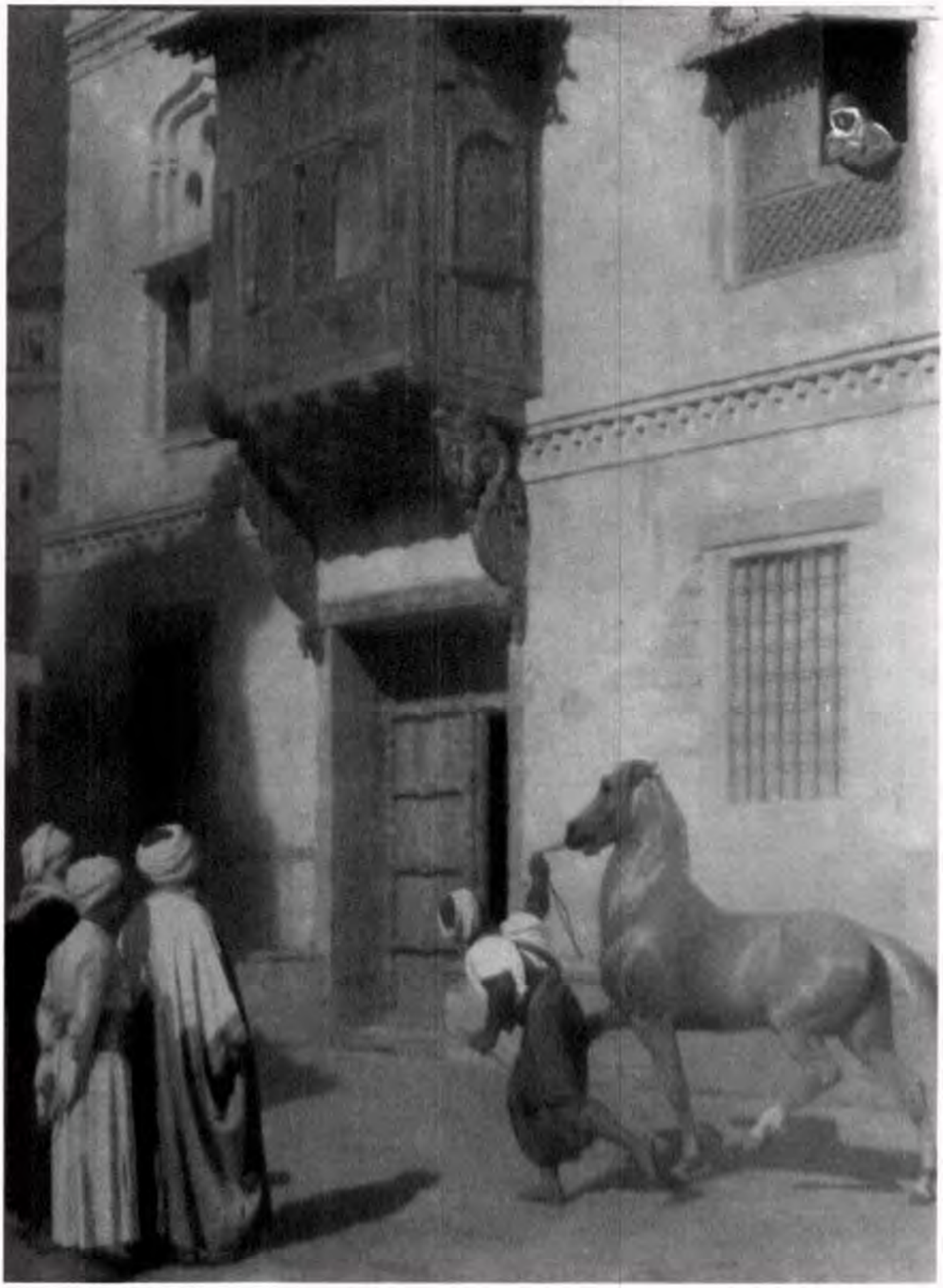
ج . ل. جيروم: جلد نمر للبيع



لودفيج دويتش: بائع الأسلحة



فردريك لويس : التداوى بالقرآن



ج . ل. جيروم: مروض الحصان



فردريك لويس : الكبابجى



والتر تيندال : بائع فاكهة بحي بولاق



ودفيج دويتش: عازف العود



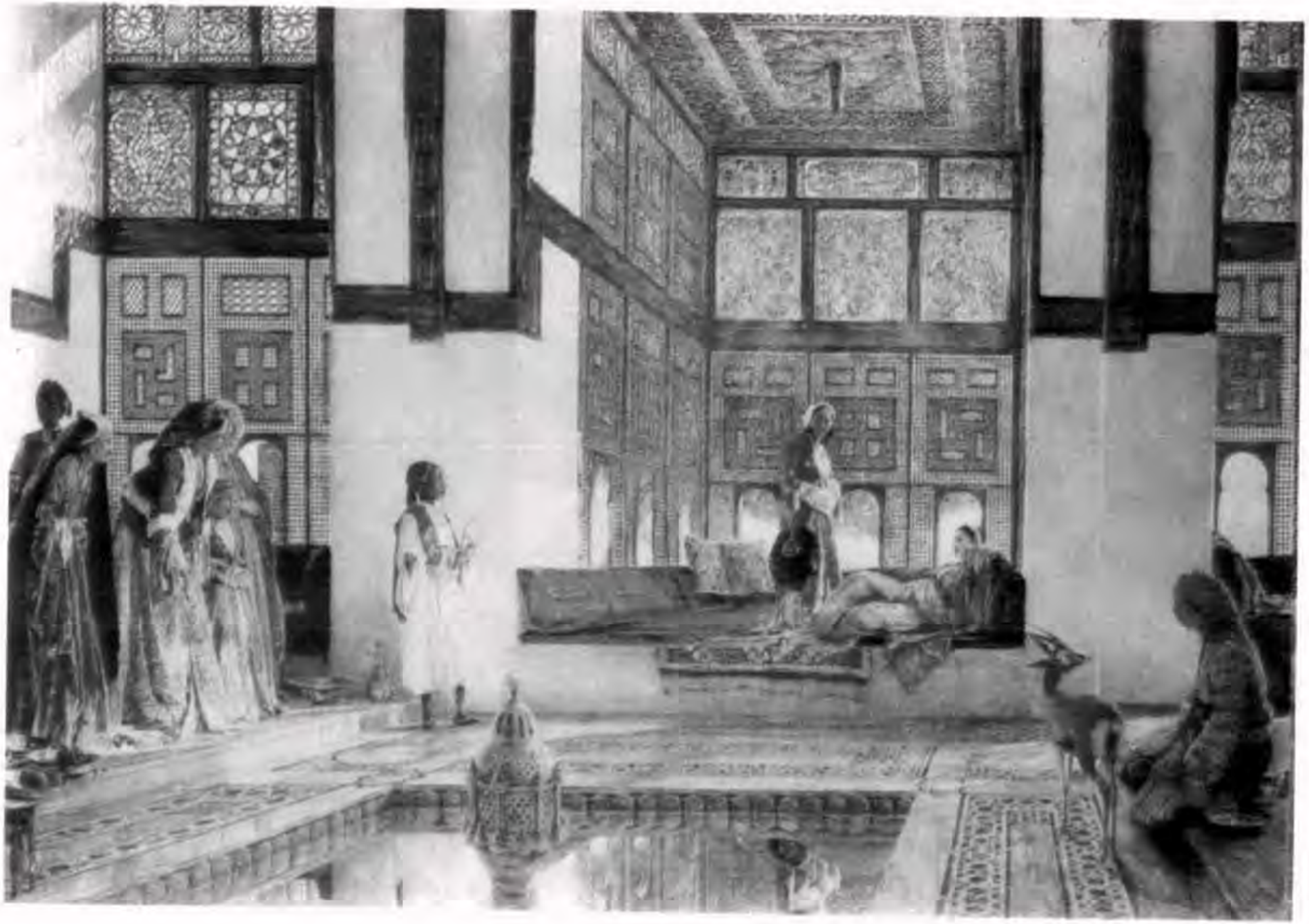
اميديو سيمونيتي؛ قارىء الطالع



فابيو فابى : حفل زفاف بالقاهرة



فردريك جودول؛ نور جديد فى الحريم



فردريك لويس: استقبال فى الحريم



ج . ل. جيروم: غازية على باب دارها



ج . ل. جيروم: امرأة من القاهرة



جوسيبى : مشهد من الحريم



فردريك جودول : مروضة الأفاعى



فردريك جودول :الحاوى



ج . ل. جيروم: الدراويش



إيتور سيمونتي: الحاوي



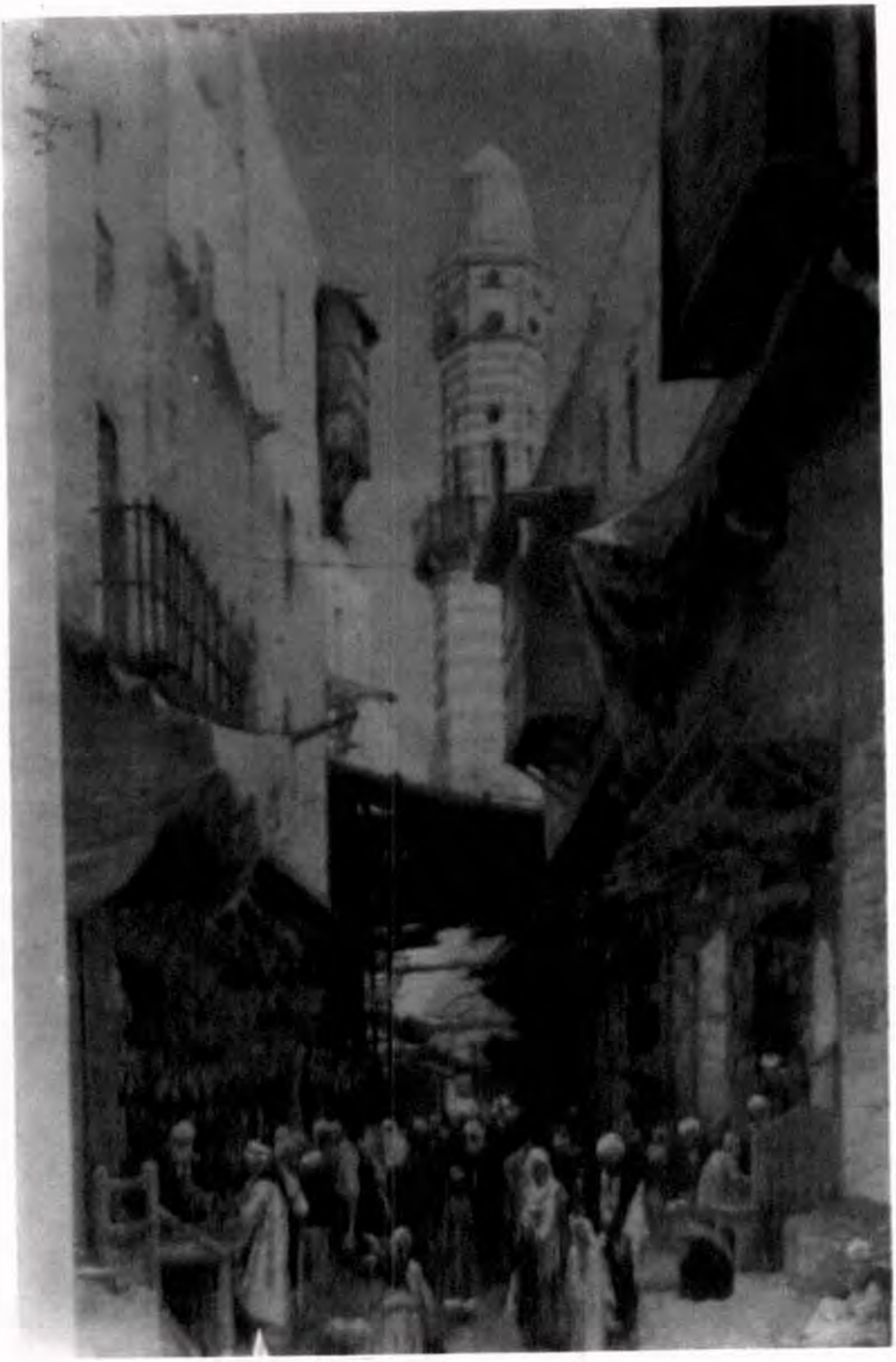
جوسيبى : سوق بضواحى القاهرة



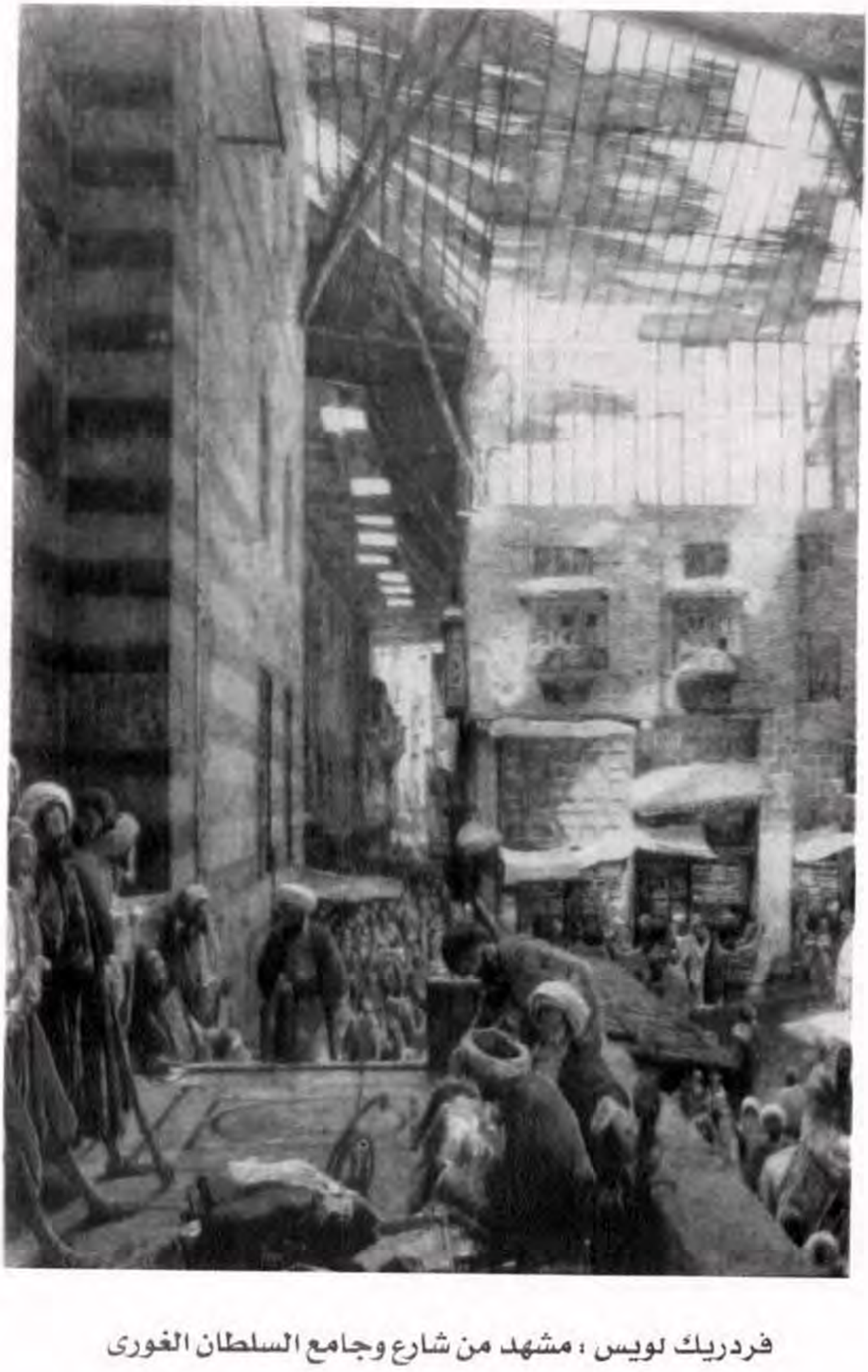
جوسيبى : مشهد من سوق بالقاهرة



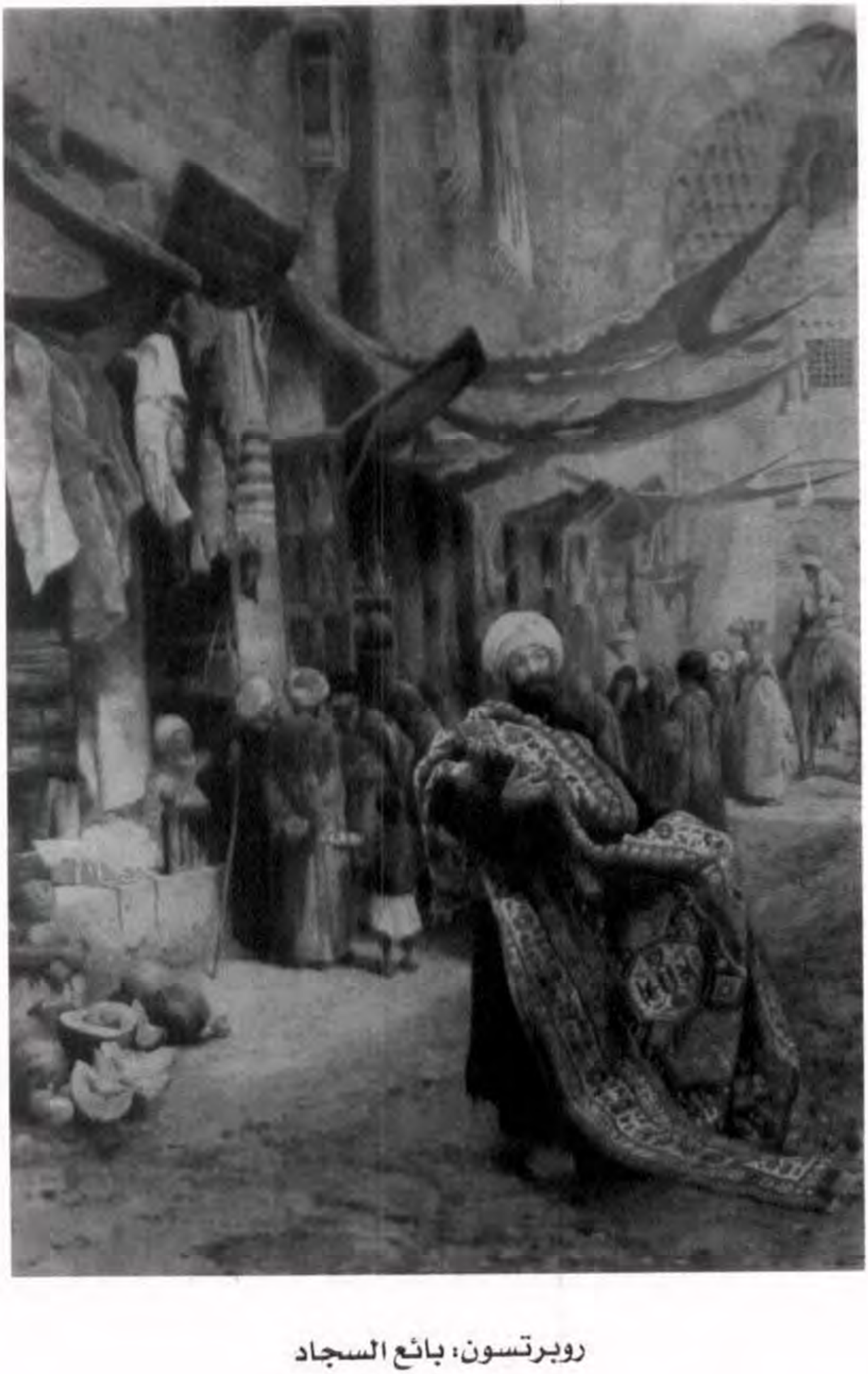
كارل مولر: سوق على أبواب القاهرة



دافيد سالمون: سوق بالقاهرة



فردريك لويس : مشهد من شارع وجامع السلطان الغورى



روبرتسون: بائع السجاد



ج. ل. جيروم: بائع السجاد



فابيو فابى : الجميلات وبائع المفروشات



فرانسيسكو باليسيو: فى السوق



روبرتسون: سوق السجاد بخان الخليلى